

الوظائف التواصلية في الحكاية الشعبية -حكاية قطاية ذهب وأخرى فضة-انموذجا.

أحمد بلحسين

جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

ملخص:

بعد سماعنا للحكايات الشعبية والخرافية، لاحظنا أن في كل عملية سرد يفترض وجود مُرسل ورسالة ومُتقبل وشفرة يتفق في سنها كل من الحاكي والمُحكى له، مع مرجعية ومقصدية الرسالة، حيث تبدأ الراوية أو الراوي بمقدمة تمهيدية تطلب من السامع مثلاً الاستغفار والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم، ثم تلج إلى الحكاية. وما يلتفت الانتباه ما تتضمنه الرسالة من رموز ذهنية و نفسية تحاك وفق مفارقات زمانية ومكانية تصنعها ملامح الراوي والتغيرات التي تطرأ على وجهه وهيئة جسمه من حركات ونبرات صوتية تحفر السامع وتذكره كل حين صلب الحكاية. ومن خلال هذه الملاحظات الميدانية تبين لنا أن الحكاية الشعبية تتضمن وظيفتين تواصليتين: الأولى تتمثل في عملية نقل الرموز الذهنية، لغوية وغير لغوية. والثانية وجدانية تقوم على العلاقات الإنسانية. وما لا يختلف فيه اثنان أن لكل حكاية موضوعاً يتمشى مع ما تتضمنه من سلوكيات لفظية وغير لفظية وهدف وغاية "البعد المعرفي" وهذا ما يطلق عليه الصورة المجردة للعملية التواصلية.

مقدمة:

يظل السرد من أهم المقومات الأساسية للعملية التواصلية وعلى حد تعبير "سعيد يقطين": "لا شعب دون سرد. والحكاية الشعبية فرضت نفسها في هذا المقام من خلال ما اخترنته الذاكرة الجماعية من خبرات وتجارب وقيم كوّنت للحكاية لغتها الأساسية التواصلية بين الأجيال حيث أصبحت الحكاية الشعبية محل اهتمام الدارسين والنقاد، فطرق أبوابها العديد من الباحثين أمثال عبد الحميد

بُورَابُو فِي كِتَابِهِ "الْقَصَصُ الشَّعْبِي فِي مِنتَقَةِ بَسْكَرَةِ" وَفِي كِتَابٍ آخَرَ بِعُنْوَانِ "الْحِكَايَةُ الْخُرَافِيَّةُ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ".

وَبَعْدَ زِيَارَتِنَا الْمُتَعَدِّدَةِ لِرُؤَاةِ الْحِكَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ وَبَعْدَ سَمَاعِنَا لَهُمْ اتَّضَحَ لَنَا أَنَّ الْحِكَايَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا تُمَثِّلُ تَوَاصُلًا بَيْنَ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَمَا هُوَ جَدِيدٌ، بَلْ تُمَثِّلُ جِسْرًا بَيْنَ مَا هُوَ أَصْلِيٌّ كَمَا يَرَاهَا الْمُتَلَقِّي - أَيْ الْحِكَايَةِ - وَبَيْنَ مَا تَعَكَّسُهُ مِنْ وَاقِعٍ مُعَاشٍ. وَمَا يُلَفِّتُ إِنْتِبَاهَنَا الْوُضَائِفُ الْإِتِّصَالِيَّةُ السَّتُّ ضِمْنَ تَقَاعُلِ الشُّخُوصِ دَاخِلِ مَتْنِ الْحِكَايَةِ.

فَأَرَدْنَا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ تَحْدِيدَ بَعْضِ الْوُضَائِفِ الْإِتِّصَالِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ وَغَيْرِ اللَّفْظِيَّةِ لِلرَّوَايَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ فِي حَدِّ ذَاتِهَا تَوَاصُلًا مِنْ خِلَالِ مَلَامِحِهَا وَلِبَاسِهَا وَعِبَارَاتِهَا خَارِجَ الْحِكَايَةِ وَمَتْنِ الْحِكَايَةِ مِنْ خِلَالِ الْعَلَاقَاتِ الْإِتِّصَالِيَّةِ بَيْنَ الشُّخُوصِ.

وَقَدْ اخْتَرْنَا أَنْمُودَجًا لِلدَّرَاسَةِ تُمَثِّلُ فِي حِكَايَةِ "قَطَايَةِ ذَهَبُ" وَلُخْرَى فَضَّةُ" مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُنْهَجِ الْإِتْثُوغَرَفِيِّ الَّذِي يُنَاسِبُ الْجَمْعَ وَالْوَصْفَ أَوَّلًا وَالْمُنْهَجَ الْبِنَائِيَّ الشَّكْلِيَّ ثَانِيًا وَالَّذِي مَكَّنَنَا مِنْ تَحْدِيدِ الْوُضَائِفِ التَّوَاصُلِيَّةِ السَّتِّ مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ كَبِنِيَّةٍ. وَاعْتَمَدْنَا فِي دِرَاسَتِنَا هَذِهِ عَلَى بَعْضِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ كِلْسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنظُورٍ وَالصَّحَاحِ لِلْجَوْهَرِيِّ، وَالْمَرَاجِعِ مِثْلَ "الْقَصَصِ الشَّعْبِيِّ فِي مِنتَقَةِ بَسْكَرَةِ" لِعَبْدِ الْحَمِيدِ بَوْرَابُو، وَكِتَابُ "الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ الدَّرْسُ وَالتَّطْبِيقُ" لِأَحْمَدَ زَعْبُ وَكِتَابُ "مَدْخَلُ إِلَى عِلْمِ الْإِتِّصَالِ" لِمَنَالِ طَلْعَتِ مُحَمَّدٍ، وَكِتَابُ "التَّوَاصُلِ نَظَرِيَّاتٌ وَتَطْبِيقَاتٌ" لِمُحَمَّدِ عَابِرِ الْجَابِرِيِّ. وَهِيَ دِرَاسَةٌ تَضَافُ لِدِرَاسَاتٍ سَابِقَةٍ أَعْطَتْ لِلْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ مَكَانَتَهُ الْمَرْمُوقَةَ. وَالْإِشْكَالُ الَّذِي يَطْرُقُ نَفْسَهُ: كَيْفَ يُمَكِّنُ قِرَاءَةُ هَذِهِ الْوُضَائِفِ الْإِتِّصَالِيَّةِ وَحَصْرُهَا سَوَاءً أَكَانَتْ لُغَوِيَّةً أَوْ غَيْرَ لُغَوِيَّةً ؟ وَمَا عِلَاقَةُ الْأَدَبِ الشَّفْهِيِّ بِالْوُضَائِفِ الْإِتِّصَالِيَّةِ ؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ اعْتِبَارُ الْحِكَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ نَمَطًا مِنْ أَنْمَاطِ التَّوَاصُلِ ؟ .

I/التعريف اللغوي والاصطلاحي للوظيفة، والاتصال والحكاية الشعبية:

1- مفهوم الوظيفة:

من «وُظِفَ الوظيفة من كل شيء: ما يُقدَّر له في كل يوم من رزقٍ أو طعامٍ أو علفٍ أو شرابٍ، وجمعها الوظائفُ و الوُظفُ . وُظِفَ الشيء على نفسه وُظِفَهُ تَوظِيفًا: ألزِمَهُ إِيَّاهُ، وَقَدْ وَظَّفْتُ لَهُ تَوظِيفًا على الصَّبِيِّ كلَّ يَوْمٍ حِفْظَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.» (1)

وَالْوُظِيفُ فِي مُعْجَمِ الصَّحَاحِ: «مُسْتَدَقُّ الذَّرَاعِ وَالسَّاقِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَنَحْوِهِمَا، وَالْجَمْعُ: الْأَوْظِيفَةُ. وَالْوُظِيفَةُ: مَا يُقَدَّرُ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ رِزْقٍ، وَقَدْ وَظَّفْتُهُ تَوظِيفًا» (2) وَهُوَ نَفْسُ مَا جَاءَ فِي مُعْجَمِ لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ.

أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ، فَالْوُظِيفَةُ كَمَا يَرَى الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ الْمُتَوَكَّلُ يُمَكِّنُ إِرجَاعُهَا إِلَى مَفْهُومَيْنِ اثْنَيْنِ: الْوُظِيفَةُ كَعَلَاقَةٍ وَالْوُظِيفَةُ كدَوْرٍ. فَحِينَ «يَرِدُ مُصْطَلَحُ الْوُظِيفَةِ دَالًّا عَلَى عِلَاقَةٍ فَالْمَقْصُودُ بِهَا الْعِلَاقَةُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ مَكُونَيْنِ أَوْ مَكُونَاتٍ فِي الْمَرْكَبِ الْاسْمِيِّ أَوْ الْجُمْلَةِ» (3). وَهُوَ مُصْطَلَحٌ مُتَدَاوِلٌ يُبَيِّنُ لَنَا عِلَاقَةَ الْمَكُونِ بغيره، كَالْعَمَلِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ.

وَالْمَفْهُومُ الثَّانِي لِلْوُظِيفَةِ هُوَ «الدَّوْرُ وَالَّذِي يُقْصَدُ بِهِ الْغَرَضُ الَّذِي تُسَخَّرُ الْكَائِنَاتُ الْبَشَرِيَّةُ اللُّغَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهِ» (4). وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللُّغَةَ تُسَخَّرُ لِتَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ بَيْنَ مُسْتَعْمِلِيهَا.

2- مفهوم الاتصال:

مِنْ وَصَلَ، «وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصَلًا وَصِلَةً وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ... وَصَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصَلًا وَصِلَةً وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِعْ»⁽⁵⁾.
والإتصال لغةً في مُعْجَم الصَّحاح لِلْجَوْهَرِيِّ: مِنْ «وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصَلًا وَ صِلَةً وَوَصَلَ إِلَيْهِ وَصُولًا أَيْ بَلَغَ وَأَوْصَلَهُ غَيْرُهُ. وَوَصَلَ بِمَعْنَى اتَّصَلَ أَيْ دَعَا دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ يَالْفُلَانِ، قَالَ تَعَالَى "إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ" أَيْ يَتَّصِلُونَ. وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ»⁽⁶⁾.

وَمَا يُلاحظُ فِي هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ أَنَّ الْجَوْهَرِيَّ فِي تَعْرِيفِهِ اللَّغَوِيَّ لِلاتِّصَالِ طَابَقَ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالِاتِّصَالِ وَبَرَى أَنَّ كِلَاهُمَا وَاحِدٌ. أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ نَجِدُ أَنَّ كَلِمَةَ 'اتِّصَالٌ' بِالْأَنْجَلِيزِيَّةِ communication مَفْهُومُهَا الْعَامُّ هُوَ «انْتِقَالُ الْمَعْلُومَاتِ وَالْحَقَائِقِ وَالْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ وَالْمَشَاعِرِ أَيْضًا وَالِاتِّصَالُ هُوَ نَشَاطٌ إِنْسَانِيٌّ حَيَوِيٌّ وَأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ فِي ازْدِيَادٍ مُسْتَمِرَّةٍ»⁽⁷⁾.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا التَّعْرِيفِ نُنْذِرُكَ تَمَامًا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمكنُهُ إِطْلَاقًا الْعَيْشُ بِمُفْرَدِهِ دُونَ التَّعَاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ وَلَقَدْ أَفْرَدَتْ الدُّكْتُورَةُ مَنَالٌ طَلَعَتْ مَحْمُودٌ لِلْعَمَلِيَّةِ الْإِتِّصَالِيَّةِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْإِنْشِيطَةِ كَالْإِنْشِيطَةِ الدَّهْنِيَّةِ وَالْإِنْشِيطَةِ السِّكُولُوجِيَّةِ وَالْإِنْشِيطَةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْإِنْشِيطَةِ السُّوسِيُولُوجِيَّةِ .

«وَالِاتِّصَالُ فِي مَفْهُومِهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ الْقَدِيمِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكَلِمَةِ اللَّاتِينِيَّةِ communis الَّتِي تَعْنِي فِي اللُّغَةِ الْأَنْجَلِيزِيَّةِ common أَيْ مُشْتَرَكٌ أَوْ اشْتِرَاكٌ، فَحِينَمَا نُحَاوِلُ أَنْ نَتَّصِلَ أَوْ نَتَّوَصَلَ فَإِنَّا نُحَاوِلُ أَنْ نَوْسَسَ اشْتِرَاكًا مَعَ شَخْصٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ اشْتِرَاكًا فِي الْمَعْلُومَاتِ أَوْ الْأَفْكَارِ أَوْ الْإِتِّجَاهَاتِ»⁽⁸⁾.

وَمَا يُلاحظُ مِنْ خِلَالِ هَذَا التَّعْرِيفِ الْقَدِيمِ النِّقَابُ فِي الْمَفْهُومِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَايِمِنَا الْعَرَبِيَّةِ خَاصَّةً حِينَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْوَصْلِ وَالْهَجْرِ وَالْبُلُوغِ.

يُعرَّف "كولي" الاتِّصالُ بأنَّه «ذلِكَ المِكانِيزم الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ تُوجَدُ العَلاقَاتُ البَشَريَّةُ وتَنَمُّو» (9). وَمَا يُوكِّدُهُ هَذَا التَّعْرِيفُ أَنَّ الاتِّصالَ هُوَ الأساسُ فِي إِقامَةِ أيِّ عَلاقَةٍ إنْسانِيَّةٍ وفَهمِ جَمِيعِ الجَوَانِبِ النَّفْسيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ. وَيَرى "جون ديوي" الاتِّصالَ «عَلَى أَنَّهُ عُنْصُرٌ لَازِمٌ لِلْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لَا نَقُومُ دُونَهُ وَلَا يَتِمُّ نَقْلُ التُّرَاثِ النَّفَاقِيِّ أَوْ تَنَمِينُهُ إِلَّا بِهِ» (10).

وَهَذَا التَّعْرِيفُ لَيْسَ بِالْبَعِيدِ عَنِ تَعْرِيفِ كُولِي لِلاتِّصالِ حِينَ رَبطَ الاتِّصالَ بِالْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَاعْتَبَرَهُ الشَّرِيحَانِ الأساسَ فِي العَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ.

3- مَفْهُومُ الْحِكَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ:

الحِكَايَةُ مِنْ حَكَى، يَحْكِي، وَجَاءَ تَعْرِيفُهَا فِي مُعْجَمِ الصَّاحِحِ لِلجَوْهَرِيِّ «حَكَيْتُ عَنْهُ حِكَايَةً، وَحَكَوْتُ لُغَةً حَكَاهَا أَبُو عُبَيْدَةَ. وَحَكَيْتُ فِعْلَهُ، وَحَاكَيْتُهُ إِذْ فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ وَهَيْئَتِهِ وَالْمَحَاكَاةُ الْمُشَابَهَةُ، يُقَالُ فَلَانٌ يَحْكِي الشَّمْسَ حُسْنًا وَيَحَاكِيهَا بِمَعْنَى يُشَابِهُهَا» (11).

أَمَّا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فَجَاءَ مَفْهُومُ الْحِكَايَةِ لُغَةً مِنْ «حَكَيْ الْحِكَايَةَ، كَقَوْلِكَ حَكَيْتُ فَلَانًا وَحَاكَيْتُهُ فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ أَوْ قُلْتُ مِثْلَ قَوْلِهِ سَوَاءً لَمْ أَجَاوِزْهُ، وَحَكَيْتُ عَنْهُ الْحَدِيثَ حِكَايَةً» (12).

وَمَا يُلَاحَظُ فِي هَذَيْنِ التَّعْرِيفَيْنِ أَنَّ الْحِكَايَةَ مُشَابَهَةُ الشَّيْءِ فِي الْفِعْلِ وَالْهَيْئَةِ وَالْقَوْلِ. وَمَا يَخْصُنَا فِي هَذَا الطَّرْحِ الْحِكَايَةُ الشَّعْبِيَّةُ. وَحَتَّى يَتَبَيَّنَ لَنَا أَكْثَرُ الْمَفْهُومِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُوقِيَّةِ نَحَاوُلُ أَنْ نُحَدِّدَ مِنْ خِلَالِ مَعَاجِمِنَا مَعْنَى الشَّعْبِيَّةِ وَالْمَقْصُودَ مِنْهَا فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَلَعَلَّ أَهَمَّ الْمَعَاجِمِ لِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ فَكَيْفَ يُعَرَّفُ ابْنُ مَنْظُورٍ الشَّعْبِيَّةَ مِنْ مَادَّةِ «شَعَبَ الشَّعْبُ: الْجَمْعُ، التَّفْرِيقُ الْإِصْلَاحُ وَالْإِفْسَادُ ضِدًّا، الشَّعْبُ: الْقَبِيلَةُ الْعَظِيمَةُ ؛ وَقِيلَ الْحَيُّ الْعَظِيمُ يَتَشَعَّبُ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَقِيلَ الْقَبِيلَةُ نَفْسُهَا. وَالْجَمْعُ شُعُوبٌ، وَالشَّعْبُ: أَبُو الْقَبَائِلِ الَّذِي

يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ أَيْ يَجْمَعُهُمْ وَيَضُمُّهُمْ. الشُّعُوبُ: الْجَمَاعُ وَالْقَبَائِلُ، الْبُطُونُ: بُطُونِ الْعَرَبِ وَمَا تَشَعَّبَ مِنْ بُطُونِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ» (13).

أَمَّا تَعْرِيفُ الشَّعْبِ فِي مُعْجَمِ الصَّحاحِ لِلْجَوْهَرِيِّ جَاءَتْ مِنْ «شَعْبٌ: مَا تَشَعَّبَ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْجَمْعُ شُعُوبٌ. وَالشُّعُوبِيَّةُ فِرْقَةٌ لَا تَفْضُلُ الْعَرَبَ عَلَى الْعَجَمِ وَالشَّعْبُ الْقَبِيلَةُ الْعَظِيمَةُ وَهُوَ أَبُو الْقَبَائِلِ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ أَيْ يَجْمَعُهُمْ وَيَضُمُّهُمْ. وَالشَّعْبُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَبِيلَةِ ثُمَّ الْفَصِيلَةُ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ ثُمَّ الْبَطْنُ ثُمَّ الْفَخْدُ.» (14)

ارْتَبَطَ مَفْهُومُ الشَّعْبِ وَالشُّعْبِيَّةِ بِمَفْهُومِ الْجَمْعِ وَالْتَفَرِيقِ وَإِصْلَاحِ الْجَمْعِ وَالْقَبَائِلِ وَالْبُطُونِ عِنْدَ ابْنِ مَنْظُورٍ وَارْتَبَطَ بِتَشَعُّبِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عِنْدَ الْجَوْهَرِيِّ. أَمَّا تَعْرِيفُهَا اصْطِلَاحًا فَيَبْدُو وَاضِحًا فِي الْحِكَايَةِ الشُّعْبِيَّةِ فَهِيَ تَعْنِي حِكَايَةَ شَعْبٍ أَوْ حِكَايَةَ الشَّعْبِ أَيْ أَنَّهَا تُولَدُ مِنْ رَحِمِ الشَّعْبِ «مُرْتَبِطَةٌ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْعِرْقِ وَبِأَشْخَاصٍ لَهُمْ دَوْرُهُمُ الْبُطُولِيُّ فِي تَوْجِيهِ الْمُجْتَمَعِ وَيُعَرَفُ فِي الْغَالِبِ الْأَعَمَّ زَمَنَ حَدُوثِهَا وَتُعَرَفُ شَخْصِيَّاتُهَا الْإِنْسَانِيَّةُ وَأَمَكِنَةُ جَرَائِنِ أَحْدَاثِهَا.» (15)

فَالْحِكَايَةُ الشُّعْبِيَّةُ تَنْدَرِجُ ضِمْنَ الْأَدَبِ الشُّعْبِيِّ الَّذِي يَنْقَسِمُ بِدَوْرِهِ إِلَى أَدَبٍ شُعْبِيٍّ «فَاللَّفْظَةُ أَدَبٌ تُعْبَرُ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي يُمَثِّلُ قِيَمَةً ثَقَافِيَّةً وَجَمَالِيَّةً فِي الْمُجْتَمَعِ لِأَنَّهُ يَرْفَى عَلَى لُغَةِ التَّوَاصُلِ الْعَادِيِّ مِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ وَالْمَضْمُونُ عَلَى السَّوَاءِ أَمَّا لَفْظَةُ شُعْبِيٍّ فَيَعْنِي أَنَّهُ مِنْ إِنْتَاجِ الشَّعْبِ وَمِلْكِيَّتِهِ. وَهُوَ يُقَابَلُ لَفْظَةَ رَسْمِيٍّ أَوْ نُخْبَوِيٍّ.» (16)

هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْأَدَبَ الشُّعْبِيَّ هُوَ ذَلِكَ الْجَانِبُ الْمُنْطَوِقُ الَّذِي تُمَثِّلُهُ الْقِصَصُ وَالْحِكَايَاتُ وَالْأَمْثَالُ وَالْخَرَافَاتُ وَالْأَسَاطِيرُ وَالْأَشْعَارُ تَنْتَقِلُ عَبْرَ الذَّاكِرَةِ الْجَمَاعِيَّةِ مُشَافِهَةً مِنْ جِبِلٍّ إِلَى جِبِلٍّ لِتُوَدِّيَ دَوْرَهَا الْوُضِيفِيَّ فِي كُلِّ عَمَلِيَّةٍ

اتِّصَالِيَّةٍ وَفَقَّ الْأَنْمَاطِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْأَدَبَ «مَجْهُولُ الْمُؤَلِّفِ مُقَابِلِ الْأَدَبِ الرَّسْمِيِّ مَعْرُوفُ الْمُؤَلِّفِ»⁽¹⁷⁾

II / الوظائفُ الاتِّصاليَّةُ غيرُ اللُّغويَّةِ للرَّوَايَةِ:

أَوَّلُ مَا يَلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ رَاوِي الْحِكَايَةِ الَّذِي لَا يَبْدُو كَغَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ الْحُضُورِ، فَهُوَ يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ سِنًا وَخُبْرَةً بِزِيَةِ الْقَدِيمِ الَّذِي يُحَاكِي زَمَنَ الْقِصَّةِ قَبْلَ بِدَايَتِهَا وَهُوَ كَذَلِكَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَتْ لَا يَرِيدُ نِسْيَانَ هَذَا الزَّمَنِ، مُعْتَمِدًا فِي تَوَاصُلِهِ الشَّعْبِيِّ وَالْجَمَاهِيرِيِّ «عَلَى مَحْوَرِيَّةِ الْجَسَدِ كَوَسِيطٍ»⁽¹⁸⁾. وَلِأَنَّ لُغَةَ الْجَسَدِ هِيَ اللُّغَوِيَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُذَكِّرُهُ حِينَ يَنْسَى بِأَنَّهُ مِنْ «حَمَلَةِ التُّرَاثِ الَّذِينَ يُتَقَنُونَ أَصُولَ قَوَاعِدِ الرَّوَايَةِ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْ شُيُوخِهِمْ إِتْقَانًا جَيِّدًا عَارِفِينَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً بِأَسْرَارِهَا»⁽¹⁹⁾.

لِهَذَا نَجِدُ الرَّوَايَ يُوظَّفُ جَسَدَهُ لِيَحْكِيَ الْمُسْكُوتَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَأْسَهُ وَإِبِمَاءَاتِهِ وَصَوْتَهُ...، فَكَيْفَ يَكُونُ لِبَاسُ رَاوِي الْحِكَايَةِ وَكَيْفَ يُوظَّفُ لِبَاسُهُ وَمَا النَّمَطُ التَّوَاصُلِيُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْوِيِّ لَهُمْ ؟

1- لِبَاسُ الرَّوَايَةِ وَهَيْئَتُهُ: بِمَا أَنَّنَا اسْتَمَعْنَا إِلَى الرَّوَايَةِ فَسَنَحَاوُلُ أَنْ نُحَدِّدَ

هَيْئَتَهَا وَلِبَاسَهَا:

تَرْتَدِّي الرَّوَايَةُ لِبَاسًا تَقْلِيدِيًّا بَحْتًا وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَنْدُورَةٍ عَرَبِيَّةٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ مُخْتَلَفَةٍ وَمُنْسَجَمَةٍ، لِكُلِّ لَوْنٍ دَلَالَتُهُ النَّفْسِيَّةُ وَلِكُلِّ لَوْنٍ حِكَايَةٌ لَا يَعْرِفُ أَحَدَانَهَا إِلَّا الرَّوَايَةُ نَفْسُهَا، وَتَضَعُ عَلَى رَأْسِهَا خِمَارًا كَبِيرًا يُعْرِفُ بِالْبَخُنُوقِ وَيُعَصَّبُ الرَّأْسُ وَبِالضَّبْطِ فَوْقَ هَذَا الْبَخُنُوقِ مَنَادِيلٌ كَبِيرَةٌ وَمُخْتَلَفَةٌ الْأَلْوَانِ الَّتِي تَنْسَجِمُ مَعَ أَلْوَانِ الْقَنْدُورَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيَلْفُ هَذِهِ الْقَنْدُورَةُ حِزَامٌ طَوِيلٌ مَكَانَ الْخَصْرِ يُسَمَّى بِحِزَامِ السَّقِيفَةِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عِدَّةِ خُيُوطٍ مَفْتُولَةٍ جَيِّدًا وَبِأَلْوَانٍ مُخْتَلَفَةٍ تَنْسَجِمُ مَعَ أَلْوَانِ التَّعْصِيبَةِ وَالْقَنْدُورَةِ. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ يُشِيرُ أَحَدُ الْمُهْتَمِّينَ «بِشُؤْنِ الْإِتِّصَالِ غَيْرِ اللَّفْظِيِّ إِلَى الْعِبَارَةِ التَّالِيَةِ: (إِنَّكَ تُعَبِّرُ عَنْ هُوَيْتِكَ الْخَاصَّةِ وَتُنْقَلِبُهَا إِلَى الْآخَرِينَ بِوَاسِطَةِ ذَاتِكَ الْمَرْيِيَّةِ). فَالْمَلَابِسُ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِ الْإِتِّصَالِ تَقُومُ بِوُظَانِفِ هَامَّةٍ،

فَهِيَ تُعَبِّرُ عَنِ الْإِنْفِعَالَاتِ وَالْمَشَاعِرِ فَضْلاً عَلَى أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي سُلُوكِ مَنْ يَرْتَدِّيْهَا
وَسُلُوكِ الْآخَرِينَ نَحْوَهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ تُعْتَبَرُ ذَاتَ قِيَمَةٍ اتِّصَالِيَّةٍ كَبِيرَةٍ «(20). إِلَى
جَانِبِ ذَلِكَ اتِّصَالِيَّةُ اللَّمْسِ وَتَوْظِيفُهَا «بِقُوَّةِ تُعَبِّرُ عَنِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَشَاعِرِ
كَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ»(21).

وَلَعَلَّ أَهَمَّ وَظِيفَةٍ اتِّصَالِيَّةٍ غَيْرِ لُغَوِيَّةٍ الصَّمْتُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ الرَّأْيِيَّةُ
«تَحَاشِيَهُ أَوْ الْهَرَبَ مِنْهُ فَعِنْدَمَا لَا يَقُولُ الْمَرْءُ شَيْئاً وَيَظَلُّ صَامِئاً فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ
لَمْ يَنْقُطِعْ عَنِ الْإِتِّصَالِ بَلْ يَعْكُسُ نُمُودَاجاً مِنْ نَمَازِجِهِ وَإِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْفَّ عَنِ
الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفَّ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّعْبِيرِ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنْ ذَاتِهِ بِوَسَائِلِ
أُخْرَى كَحَرَكَاتِ الْيَدَيْنِ وَتَعْبِيرَاتِ الْوَجْهِ»(22).

وَمَا لَاحِظُنَاهُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الصَّمْتِ غَضَبُ الرَّأْيِيَّةِ عِنْدَ نِسْيَانِهَا لِبَعْضِ
الْمَقَاطِعِ خَاصَّةً تِلْكَ الْمَسْجُوعَةِ مِنْهَا، وَالتِّي طَالَمَا رَدَدَتْهَا فِي تَعَامُلَاتِهَا الْيَوْمِيَّةِ.
وَيَنْدَرُجُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الصَّمْتِ ضِمْنَ «الصَّمْتِ الَّذِي يَخْذُلُ عِنْدَمَا لَا يَسْتَطِيعُ
الشَّخْصُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ يَقُولُهُ»(23). نَحَاوِلُ الرَّأْيِيَّةُ تَذَكُّرَ الْمَقَاطِعِ وَاسْتِرْجَاعَهَا
مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ هَذَا الصَّمْتِ وَوَضْعَ الْيَدَيْنِ عَلَى الرَّأْسِ الْمَعْصُوبِ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ
وَرُبَّمَا أَكْثَرَ تَتَذَكَّرُ وَتُعِيدُ الْمَقْطَعِ مِنْ أَوَّلِهِ وَتَقُولُ بِذَاتِ الْعِبَارَةِ «فَتَكَ فِي الْحَدِيثِ»،
وَتَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهَا مَلَامِحُ الْفَرَحِ وَالبَهْجَةِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى الْمَاضِي وَتَقُومُ بِتَحْرِيكِ
رَأْسِهَا وَإِعَادَةِ التَّعْصِيبَةِ مِنْ جَدِيدٍ أَوْ رَفْعِهَا إِلَى الْأَمَامِ قَلِيلاً أَوْ التَّعَمُّدِ فِي إِزَالَتِهَا
وَإِعَادَةِ وَضْعِهَا عَلَى الرَّأْسِ وَتَوْظِيفِهَا مِنْ جَدِيدٍ .

2- اللَّمَّةُ وَفَنَاتُهَا: تَضُمُّ اللَّمَّةُ مُخْتَلَفَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَعْمَارِ
صَغِيرًا وَكَبِيرًا يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ الْمَوْقِدِ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ أَوْ فِي حَوْشِ الْمَنْزِلِ فِي
فَصْلِ الصَّيْفِ وَيُطْلَقُ عَلَى هَذَا التَّجْمُعِ الْعَائِلِيِّ اسْمُ "الْقَعْدَةِ" وَلَا تَمْضِي اللَّمَّةُ أَوْ
الْقَعْدَةُ إِلَّا بِحِكَايَةِ شَعْبِيَّةٍ خُرَافِيَّةٍ مِنْ حِكَايَاتِ الْجَدَّةِ خَاصَّةً فِي لِبَالِي رَمَضَانَ أَيْنَ
يَتَجَمَّعُ كَافَّةُ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ أَوْ الضُّيُوفُ الَّذِينَ يَصْنَعُ عَنْهُمْ اللَّقَاءَ وَهُمْ لَا يَعُدُّونَ مِنْ

مُسْتَقْبَلِي الْقِصَّةِ فَقَطْ بَلْ يُعْدُونَ طَرَفًا مُشَارِكًا وَفَعَالًا فِي عَمَلِيَّةِ الْقِصِّ ...
فَالْجَمَاعَةُ هِيَ الَّتِي تَخْتَارُ الرَّاويَ غَيْرَ الْمُحْتَرَفِ وَتُهَيِّئُ لَهُ الْمَكَانَ بَيْنَهَا، وَقَدْ تَوَثَّرَ
بِالْفِرَاشِ الْوَثِيرِ وَبِالْمَحْدَّةِ دُونَ بَقِيَّةِ الْجُلُوسِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ مِنْ كِبَارِ السِّنِّ وَتَنَحَّلَ
عَلَيْهِ بِكَيْفِيَّةٍ تُسَهِّلُ عَلَيْهِ عَمَلِيَّةَ إِصْصَالِ صَوْتِهِ لِكُلِّ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ»⁽²⁴⁾. وَمَا يُشْتَرَطُ
فِي الْجَمَاعَةِ الْمُتَلَقِّيَةِ السُّكُوتُ أَثْنَاءَ الْحَكْيِ وَالْإِنْتِبَاهُ لِلْأَحْدَاثِ حَتَّى تَفْهَمَ جَمِيعَ
الْمَفَارِقَاتِ وَتَقْبَلَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ زَمَنِ الْوَاقِعِ .

وَبِهَذَا تُعْتَبَرُ اللَّمَّةُ أَسَاسَ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ مِنْ خِلَالِ انْتِقَالِ كُلِّ مَا يُحْكَى
مِنْ جَبَلٍ إِلَى جَبَلٍ «مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ وَمِنَ الْجَدَّةِ وَالْجَدِّ وَمِنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ
وَمِنَ الْأَبْنَاءِ وَزَوْجَاتِهِمْ إِلَى الصَّغَارِ فِي نِطَاقِ الْأُسْرَةِ»⁽²⁵⁾.

3-اخْتِيَارُ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ لِلْحَكْيِ:

لِلْحِكَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ مَكَائِهَا وَزَمَانُهَا التَّوَاصُلِيَّ، فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ عِنْدَ الرَّاويِ أَوْ
الرَّاويَةِ أَنْ تَحْكِيَ الْحِكَايَةَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ وَفِي مَكَانٍ غَيْرِ الْمَكَانِ الْمَحْدَدِ
لِلْحِكَايَةِ وَالْقَعْدَةِ أَوْ فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ أَوْ فِي الْمَسَاءِ قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ، وَبَعْدَ
اسْتِمَاعِنَا لِعِدَدٍ مِنَ الرُّوَاةِ اتَّضَحَ لَنَا أَنَّ لِلْحِكَايَةِ زَمَانَهَا وَمَكَانَهَا، فَمَا زَمَانُ الْحِكَايَةِ
وَمَا مَكَانُهَا ؟

لِلْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ عُدْنَا لِلرَّوَايَةِ الَّتِي اخْتَرْنَا حِكَايَتَهَا الشَّعْبِيَّةَ مَوْضُوعَ
الدِّرَاسَةِ لِأَنَّمَاطِ التَّوَاصُلِ وَأَجَبْنَا بِأَنَّ الْحِكَايَةَ الشَّعْبِيَّةَ مُنْذُ الْأَزَلِ تُحْكَى لَيْلًا قَبْلَ
وَقْتِ النَّوْمِ (أَيَّ مَوْعِدِ السَّهْرَةِ)، وَبَعْدَ أَنْ يَنْحَلِّقَ أَفْرَادُ الْعَائِلَةِ فِي حَلَقَةٍ وَاحِدَةٍ حَوْلَ
الْمَوْقِدِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِاسْمِ "الكَانُونِ" وَكَانَ تَبْرِيرُ الرَّوَايَةِ عَلَى أَنَّ الْحِكَايَةَ تُحْكَى
لَيْلًا فَقَطْ غَرِيبًا حَيْثُ قَالَتْ بِأَنَّ مَنْ يَحْكِيَ الْحِكَايَةَ نَهَارًا يَلِدُ أَفْرَعًا أَصْلَعًا وَقَدْ
أُورَدَ الْبَاحِثُ عَبْدُ الْمَجِيدِ بَوْرَايُو فِي كِتَابِهِ "الْحِكَايَةُ الْخُرَافِيَّةُ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ"
أَنَّ الَّذِي يَحْكِيهَا نَهَارًا يُصَابُ بِأَذَى، وَبَعْدَ سُؤَالِنَا لَهَا هَلْ حَكَيْتَهَا نَهَارًا قَالَتْ أَبَدًا
وَأَوْلَادِي بِشُعُورِهِمْ كُلُّهُمْ. وَبَعْدَ سَمَاعِنَا لِرَوَايَةِ أُخْرَى تَبَيَّنَ لَنَا نَفْسُ السَّبَبِ غَيْرَ أَنَّهَا

فَصَلَّتْ أَنْ تَحْكِيَ الْحِكَايَةَ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ الطَّوِيلِ وَكَأَنَّهُمْ الْجَمْرُ وَقَالَتْ بِأَنَّ لَيَالِي الصَّيْفِ قَصِيرَةٌ وَلَا تَصْلُحُ لِلْحِكْيِ فَإِذْ رَأَتْ الصَّبَاحَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ .

أَمَّا مَكَانُ الْحِكَايَةِ فَيَتِمُّ اخْتِيَارُهُ حَسَبَ تَوَاجُدِ مَوْقِدِ النَّارِ وَأَيَّنَ تَتَخَلَّقُ الْأُسْرَةُ حَوْلَ مَكَانِ الْجِدَّةِ الَّتِي تَكُونُ هِيَ الرَّاويَةُ فَيَتَوَسَّدُ الصَّغِيرُ رُكْبَتَهَا وَتَضَعُ يَدَهَا عَلَى شَعْرِهِ، ثُمَّ تَنْظُرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ ضِمْنَ الْحَلَقَةِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَكَانُ خَارِجَ الْغُرْفِ (أَي فِي الْحَوْشِ) عِنْدَمَا تَجْتَمِعُ الْعَائِلَةُ مِنْ صَغِيرِهَا إِلَى كَبِيرِهَا مَعَ قُدُومِ الضُّيُوفِ .

مِنْ خِلَالِ هَذَا التَّجَمُّعِ وَالتَّحَلُّقِ بَيْنَ الْمُخَاطَبِ (الرَّاويَةِ) وَالْمُتَلَقِّي (الْمُسْتَمِعُونَ) تَجْرِي عَمَلِيَّةُ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الرَّاويَةِ وَأَفْرَادِ الْعَائِلَةِ مِنْ خِلَالِ الْجَانِبِ الْوُظِيفِيِّ لِلْمَكَانِ الْمُهِمِّيِّ أَسَاسًا لِلْحِكْيِ بَعِيدًا عَنِ الْأَمْكِنَةِ الْأُخْرَى خَاصَّةً الْأَمْكِنَةِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى أَجْهَزَةٍ اتَّصَالٍ قَدْ تُشَوِّشُ عَلَى الْحَلَقَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ سَوَاءً أَكَانَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِالْحِكَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ وَ الْحَلَقَةِ الْعَائِلِيَّةِ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ جُلُوسَ الرُّوَاةِ فِي أَمْكِنَةِ الْوَسَائِطِ الْإِتِّصَالِيَّةِ الْحَدِيثَةِ شِبْهُ مَعْدُومٍ، نَحْنُ خِلَالَ زِيَارَتِنَا الْمُتَعَدِّدَةِ نَبِينُ لَنَا أَنَّ جُلَّ الرُّوَاةِ يَبْتَغِدُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ حَتَّى الْأَخْبَارُ يَتَلَفَّظُونَهَا مِنْ جِهَازِ الرَّادِيُو بَدَلًا مِنَ التَّلْفَازِ .

III/ الْوُظَانِفُ الْإِتِّصَالِيَّةُ اللَّفْظِيَّةُ لِلرَّاويِ قَبْلَ الْحِكْيِ :

1- الْمُقَدِّمَةُ الْإِسْتِهْلَالِيَّةُ:

يَعْتَمِدُ كُلُّ رَاوٍ عَلَى مُقَدِّمَةٍ اسْتِهْلَالِيَّةٍ مَسْجُوعَةٍ لِتَهْيِئَةِ السَّامِعِ وَجَدَانِيًّا لِتَلَقِّي الْحِكَايَةِ وَهِيَ مُقَدِّمَاتٌ اعْتَادَهَا السَّامِعُ فِي كُلِّ بَدَايَةِ فِيمَجَرَّدَ سَمَاعِهِ لِتِلْكَ الْمُقَدِّمَةِ يَضَعُ نَفْسَهُ مُبَاشَرَةً فِي صُلْبِ الْحِكَايَةِ مُتَّصِلًا بِالْعَالَمِ الْآخَرِ أَيْ مِنَ الْوَاقِعِ إِلَى الْوَاقِعِ، وَالْمُقَدِّمَةُ الَّتِي اعْتَمَدْتُهَا الرَّاويَةُ فِي حِكَايَةِ "قَطَايَةِ*" ذَهَبَ وَالْأُخْرَى فَضَّةٌ" نَصُّهَا كَالآتِي: "يَاسَادَةُ يَامَادَى رَبِّي يَدْلَنِي وَيَدْلِكُمْ لِلشَّهَادَةِ يَاسَامِعِينَ قُولُوا آمِينَ". وَقَدْ تَنَسَّابَهُ الْمُقَدِّمَاتُ فِي كُلِّ حِكَايَةٍ وَقَدْ تَخْتَلِفُ لِكُونِهَا تَعُودُ «لِمُؤَلِّفِينَ مَجْهُولِينَ

وَأُزْمِنَةٌ غَيْرٌ مُحَدَّدَةٌ، وَفِي تَنَوُّعٍ وَ تَعَدُّدٍ هَذِهِ الْخُطَابَاتِ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ أُسَاسًا أَذْنَ الْمُسْتَمِعِ لِلدُّخُولِ فَوْرًا فِي صُلْبِ الْحِكَايَةِ» (26)

وَلَوْ أَرَدْنَا الْبَحْثَ عَنْ هَذَا الْمُؤَلَّفِ الْمَجْهُولِ بِهِذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ لَوَجَدْنَا الْعِنَنَةَ مِنْ جِبِلٍّ إِلَى جِبِلٍّ دُونَ ذِكْرِ أَيِّ مُؤَلَّفٍ لِهَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ غَيْرَ أَنَّهَا بَاتَتْ ضَرُورِيَّةً فِي كُلِّ بَدَايَةِ حِكَايَةٍ فَهِيَ تَعْمَلُ فِي الْأَصْلِ عَلَى جَذْبِ الْمَتَلَقِّي وَجَعْلِهِ أُسِيرًا لِلْحِكَايَةِ وَهَذَا يُعْتَبَرُ «اسْتِرَاطِيَّةً مِنْ اسْتِرَاطِيَّاتِ الْبَدَايَةِ» (27).

2- الرَّأْيُ خَارِجٌ مَثْنِ الْحِكَايَةِ: خُرُوجُ الرَّأْيِ عَنْ مَثْنِ الْحِكَايَةِ بَاتَ وَارِدًا فِي كُلِّ عَمَلِيَّةٍ حِكَايَةٍ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِرِدُّهُ مِنْ مَعَانٍ تَخْدُمُ الْحِكَايَةَ أَوْ تُرِيدُ أَنْ تُذَكِّرَ بِهَا الْمُسْتَمِعَ، وَعَلَاقَةُ تَشَابُهٍ بَيْنَ الْمَوَاقِفِ أَوْ تَمَازُلٍ بَيْنَ الْحِكَايَاتِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا أَوْ تَهَوُّلِ الْأَمْرِ بِعِبَارَاتٍ مُرْعَبَةٍ تُبْعِدُ النَّوْمَ وَتُنَقِّلُ «بِخَيَالِ الْمُسْتَمِعِ لِیُحَدِّدَ وَقَائِعَ وَأَحْدَاثَ الْحِكَايَةِ» (28).

تَنْظُرُ الرَّأْيَةُ لِعُيُونِ الْمُتَحَلِّقِينَ وَتَعْقِدُ اتِّصَالًا جَدِيدًا مِنْ خِلَالِ عِبَارَةٍ "عَيْنِيكُمْ حَمْرِينَ ... رَقْدُنَا؟" وَالْعِبَارَةُ الْأَكْثَرُ سُوءًا "فَوْتَكُمْ فِي الْحَدِيثِ" وَهِيَ عِبَارَةٌ يُعْقِبُهَا الصَّمْتُ وَالْخَوْفُ مِنْ فَصْلِ الْمَسْأَلَةِ عَنْ بَاقِي الْأَحْدَاثِ، فَتَنْتَفُسُ الصُّعْدَاءُ بَعْدَ لَفْظَةِ "نَسِيتَ اسْمَحُولِي" ثُمَّ تَأْتِي لَفْظَةُ الْإِنْفِرَاجِ مِنْ خِلَالِ "هِيهَا هِيهَا" وَتَعُودُ إِلَى مَسَارِ الْحِكَايَةِ مِنْ جَدِيدٍ. وَاللَّفْظَةُ الَّتِي تُعِيدُ لِلرَّأْيَةِ قُوَّتَهَا وَسُلْطَتَهَا كَرَاوِيَّةٌ مُحْتَرِفَةٌ عَارِفَةٌ لِكُلِّ أَحْدَاثِ الْحِكَايَةِ هِيَ "فُلَانٌ رَقْدٌ" أَوْ "رَقْدُنَا؟" الْحِكَايَةُ مَازَلَتْ طَوِيلَةً وَالْبَرَادُ مَازَالَ مَعْمَرًا

VI/تَقْدِيمُ الْحِكَايَةِ :

1- بَلَّغَتْهَا الْأَصْلِيَّةُ :

يَاسَادَى يَامَادَى رَبِّي يَدْنِي وَيَدْلُكُمْ لِلشَّهَادَةِ يَاسَامِعِينَ قُولُوا آمِينَ، عَلَى ثَلَاثَ نَسَا قَاعِدِينَ فِي بَيْتٍ يَخْدُمُو فِي الصُّوفِ وَيَحْلُقُو، تَكَلَّمْتُ وَحْدَةً وَقَالَتْ: كُونْ يَدِينِي السُّلْطَانُ نَكْسِلُو الْبِلَادَ مِنْ دُرَاعَ كَتَّان. وَلَوْخَرَى قَالَتْ: كُونْ يَدِينِي السُّلْطَانُ نُوَكِّلُ الْبِلَادَ بَرْبُوعِي** قَمَحَ وَنَفَضْلُ مِنْهُ. وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ قَالَتْ: لَوْكَانْ يَدِينِي أَنَا نَجِينِلُو قَطَايَةَ ذَهَبَ وَقَطَايَةَ فَضَّةَ. الْوَقْتُ اللَّيَّ كَانَتْ النَّسَا تَخْكِي فِيهِ سَمَعَهُمُ السُّلْطَانُ وَقَرَّرَ أَنُو يَرْوَجُهُمْ فِي ثَلَاثَةِ. الْوَلَةُ دَارَتْ وَاشْ قَالَتْ، دَارَتْ دُرَاعَ الْكَتَّانِ خَوَاتِمَ وَكَسَاتِلُو بِلَادُو، وَالثَّانِيَةَ رَحَتْ رُبُوعِي الْقَمَحَ بِنَصَافِي*** مَلَحَ وَاعْطَتْ لِسْكَانَ الْبِلَادِ كُلُّو وَفَضَلُو مِنْهُ لَأَنُو كَانَ مَالِحَ اللَّيَّ يَذُفُو يُهْزَبُ، أَمَّا الْمَرَى الثَّلَاثَةُ هَزَّتْ الْكَزْشَ وَجَتْ رِضَاخَ ثُولَدُ شَرُولَهَا الضَّرَايِرَ غَرَابَ وَغَرَابَةَ وَخَبُوهُمْ عَنْدَهُمْ حَتَّى ثُولَدَ. وَلَدَتْ الْمَرَى الثَّلَاثَةُ جَابَتْ قَطَايَةَ الذَّهَبِ وَقَطَايَةَ الْفَضَّةِ نَعَرُو مِنْهَا الضَّرَايِرَ هَزُّو قَطَايَةَ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةَ وَحَطُّو فِي بِلَاصَتَهُمْ غَرَابَ وَغَرَابَةَ وَهَزُّو قَطَايَةَ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةَ وَاعْطَوْهُمْ لِلْعُرُوزِ الْقَابِلَةَ رَاحَتْ حَطَّتُهُمْ فِي صَنْدُوقَ مَعَ زُورْ شَكَايرَ نَتَعَ لَوِيزَ وَطِيْشَاتُو فِي الْبَحْرِ. دَخَلَ السُّلْطَانُ لِلْقَصْرِ وَقَالَ: وَاشْ جَابَتْ الْمَرَى. دَارَتْ الْمَرَى لِفَرَاشَ ضَنَّاهَا شَافَتْ وَتَفَجَّعَتْ قَالَتْ: غَرَابَ وَغَرَابَةَ. تَغَشَّشَ السُّلْطَانُ وَقَالَلَهَا: النَّسَا لُخْرِينَ دَارُو كَيْفَ مَاقَالُو وَإِنِّي قُلْتِي نَجِيبَ قَطَايَةَ ذَهَبَ لُخْرَى فَضَّةَ شَوِي جِبْنِي غَرَابَ وَغَرَابَةَ. وَبَعْدَهَا وَلَا السُّلْطَانُ كُلُّ مَايَدْخُلُ عَلَيْهَا يَضْرِبُهَا حَتَّى وَاحِدَ النَّهَارِ كَانَ وَاحِدَ الصِّيَادِ يَصِيدُ فِي الْبَحْرِ لَوْحَ شَبْكُتُو حَصَلَ فِيهَا الصَّنْدُوقُ جَبْدُ شَبْكُتُو وَخَرَجَ الصَّنْدُوقُ وَرَاحَ لِدَارُو فَرَحَانَ وَاشْ رَاحَ يَلْقَى فِي الصَّنْدُوقِ لَأَنُو كَانَ فَقِيرَ يَشْفُ لَحَجَرُ هَيَّا كِي جَا يَفْتَحُ بَدَا وَسَوَاسُو يَقُولُ بِالْأَكْ كَانَتْ مَافِيهَا حَاجَةٌ تَقْتُلُكَ، حَمَمَ شَوِي وَقَالَ: عَلَى رَبِّي تَوَكَّلْتُ. وَحَلَّهَا لَقَى فِيهَا طُفْلَ وَطُفْلَةَ عَيْطَ لَمَزْنُو وَقَالَلَهَا: يَامَرَى شَوْفِي وَاشْ لَقِيتُ، رَاهُ رَبِّي بَعَثَلْنَا

قَسَمَ. جث لمرى فَرَحَانَة تحسَاب فِيهَا مَأكَلَة وَالآ حَاجَة تَزِيدُهَا مَنقُوتُهَا بَاشْ
تَرَضَّع وَلَذَهَا الصَّغِيرُ، شَوِي لَقْتَهُمْ زَوْرُ ذَرِي قَالَتْلُو: يَارَاجُلْ وَاشْ هَذَا مَنِينُ رَاخِ
نَوَكْلُوهُمْ. قَالَتْهَا: دِيرِي رَيِّي فِي بَالِكْ، يَامرَى اللِّي خَلَقَ مَايَضِيعُ رَاهِ مَعَاهُمْ قُوتُهُمْ
زَوْرُ شَكَابِرْ لُويزُ. فَرَحَتْ وَقَالَتْ: يَامَرْحَبَا بِاللِّي جَا وَجَابْ. نَاضَ الرَّاجُلُ وَرَاخِ
لِلسُّوقِ وَجَابَ مَالْدُ وَطَابَ مِنْ مَأكَلٍ وَالخَيْرَاتِ السَّبْعَة. رَبَّتْ المَرَى الاولادِ كِي
الْحَاوَة حَتَّى كَبُرُو وَفِي وَاحِدِ النَّهَارِ خَرَجَ الطُّفْلُ اللِّي مَرِيئَاثُو يَلْعَبُ بِالْحَجَرِ غَلَطُ
وَضَرْبُ رَاجُلٍ كَانَ مَاشِي خَذَاهُ نَطَقْلُو الرَّاجُلُ وَقَالُو: وَاشْ عَمِيَتْ رَانِي خِيَرُ مَنَّاكَ
وَأَعَزَّ مَنَّاكَ أَنَا مَلْقَانِيشِ الْحَوَاتِ فِي الْبَحْرِ أَنَا مَرِي عِنْدَ وَالِدِيَا. رَوَّحَ الطُّفْلُ يَبْكِي
لَأُمُّو وَاللَّهَ تَوَّ تَقُولِي لِي مَنِينُ جَانِبِي بَابَا. قَالَتْلُو: مَنِينُ سَمَعْتَ هَذَا الْكَلَامَ رَاكَ
وَلَدْنَا. رَجَّعْلَهَا الطُّفْلُ: لَالَا رَاوُ وَاحِدُ الرَّاجُلِ قَالِي رَاهُمْ لِقَاوُكْ فِي الْبَحْرِ. صَبِرْتُ
أُمُّو وَحَكَاتْلُو وَاشْ صَرَى قَالَتْهَا يَامِيْمَتِي مَعَادَشْ نَقْدَرُ نُفْعِدُ فِي هَذِي الْبِلَادِ اللِّي
يَعَايِرُونِي فِيهَا لَارَمْ نَحْوَسْ عَلَى وَالِدِيَا وَنَبَتْ النَّسَبُ نَتَاعِي. أَمَّا أُمُّو نَتَعَ الصَّحْ
كَانَتْ مَسْكِينَة فِي الْعَذَابِ الْكَبِيرِ تُوكَلُ مِنَ النَّخَالَة وَتَشْرَبُ مِنَ الْجَوَابِي ****
وَيَضْرِبُهَا السُّلْطَانُ كُلَّ مَا شَافَهَا وَأَمَّا النِّسَاءُ لُخْرِينْ مَذْلَلُهُمْ. أَمَّا الطُّفْلُ وَالطُّفْلَة بَعْدُ
مَاصَارُو يَقْدَرُو يَعْمَلُو عَلَى زَوَاجِهِمْ رَاخُو يَحْوَسُو فِي الْبِلَادِ وَيَسْقَسُو عَلَى أَمَهُمْ
وَبُوَهُمْ مَآخَلُو لَا شَايِبَ لَاصْغِيرِ حَتَّى دَخَلُو لِبِلَادِ السُّلْطَانِ. اسْتَقْبَلَهُمُ السُّلْطَانُ
وَسَكَّنَهُمْ، وَفِي النَّهَارِ شَافَ الطُّفْلَ الْخِيَالَة نَتَعَ السُّلْطَانُ يَتَسَافُو قَالَ لَآخْتُو نُرُوحِ
نَلْعَبُ مَعَاهُمْ. رَاخَ الطُّفْلُ أَزَيْنَ وَلِبَسَ وَآخْتُو ثَانِي وَخَرَجُو شَافَهُمُ السُّلْطَانُ وَعَرَفَهُمْ
وَدَارَ عَلَى مَرْتُو الثَّلَاثَة يَضْرِبُ فِيهَا يَقُولُهَا عَلَاشْ مَوْفِيْتِيشْ بَعَهْدُ. كِي شَافُو
الضَّرَائِرَ الطُّفْلَ وَالطُّفْلَة عَرَفُوهُمْ رَاخُو لِلْسُّتُوْتَة قَالُوْلَهَا لَارَمْ نُفْعِلِيَهُمْ بِأَيِّ طَرِيقَة.
رَاخَتْ السُّتُوْتُ لِلطُّفْلِ وَقَالَتْلُو: اَنْتَ مَعْرَسُ ؟ قَالَتْهَا: لَا. قَالَتْلُو ادْنِي نَشُوفْ دَارُكَ.
اِدَاهَا الطُّفْلُ لَدَارُو قَالَتْلُو: بِيْتِكَ مَاشِي بِيْتُ حَتَّى تَجِيْلُو خَزَانَة بُو سَبْعَة بِيْبَانِ رَاخِ
الطُّفْلُ لَآخْتُو قَالَتْهَا: طِيْبِي لِي رُْمِيْتَة وَكَسْرَة بَاهِ نُرُوحِ نَشْرِي خَزَانَة بُو سَبْعَة بِيْبَانِ

طَبِيتُلُو أَخْتُو وَاْعَطَاثُو وَاتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّي وَرَاخْ. وَ فِي طَرِيفُو بَقَا شَايِبْ قَالَةَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا جَدِّي. قَالُو: كُونْ مَجَاشْ سَلَامَكَ تَسْمَعْ طَقْطِيقْ عَظَامَكَ فِي رَاسِ الْجَبَلِ. قَالُو: وَيَنْ نَلْقَى خَزَنَاتَةَ بُو سَبْعَةَ بِيَّانْ قَالُو: رَاهِ اللَّيْ بَعَثْكَ يَوْصَلْ فِيكَ لِلْمُوتِ رَاكَ تَلْقَاهَا فِي بِلَادِ الْعُوْلَةِ وَالْأَهْوَالِ، فَانْتَ كِي تُوَصَلْ هَاكِ الْبِلَادْ وَتَهْزُ لُخَزَنَاتَةَ يُقُولُوكِ اسْتَنَّى نَزِيدُوكِ، امْشِي وَاحْقِرْهُمْ. دَارِ الْطِفْلُ وَاشْ قَضَالُو الشَّايِبْ وَجَابِ الْخَزَنَاتَةَ وَرَجَعْلُو قَالُو رَانِي جِبْنُهَا الشَّايِبْ قَالُو اتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّي وَرُوحْ آدِيهَا لِدَارِكَ. وَصَلْ الطِفْلُ وَحَطْ الْخَزَنَاتَةَ وَوَصَّى أَخْتُو قَالَلَهَا رَانِي رَايَحْ نُرْقُدْ كِي يَجِي وَفَتْ سِبَاقِ الْخِيَالَةِ نَوْضِيْنِي. الطِفْلُ كَانَ كُلْ مَايَشُوفُو السُّلْطَانَ يَرُوحْ يُضْرِبْ مَرْنُو وَكَذَالِيكَ الضَّرَائِرْ كُلْ مَا يَشُوفُوهُ يَحْرِشُو السُّتُوْتَةَ بَاهْ تَوْصَلُو لِلْمُوتِ حَتَّى فِي وَاحِدِ النَّهَارِ رَاخْتَلَه السُّتُوْتَةَ وَقَالَتْلُو: دَارَكَ مَلِيحَةَ وَانْتُو اخْتَنُكْ مَلَاخْ بَصَحْ تَخْصَكْ مَرَى قَالَلَهَا: وَيَنْ نَلْقَاهَا قَالَتْلُو كَايِنْ وَاسْمُهَا تَاخْ الْبِهَاءِ دَارَتْ الْهَدْرَةَ فِي رَاسُو وَرَاخْ لَأَخْتُو وَحَاكَلَهَا وَ قَالَلَهَا: سَجَلِي خَصَانِي وَمَاكَلْتِي نُرُوحْ نَجِييَهَا. قَالَتْلُو: مَتْرُوحَشْ هَاذِيكَ السُّتُوْتَةَ تَبْعَتْ فِيكَ لِلْمُوتِ. عَزَمَ الطِفْلُ وَدَارَ وَاشْ فِي رَاسُو وَرَاخْ يَحَوَسْ حَتَّى وَصَلَ لِبِلَادِ الْعُوْلَةِ. كِي وَصَلَ نَفَخَتْ غُولِيَّةٌ فِي وَجْهَهُ وَلَا حَجْرَةَ. تَقَلَّقَتْ اخْتُو عَلَى طَوَالِ فَرَاثُو وَقَالَتْ: نَخْرُجْ نَحَوَسْ عَلَيْهِ. تَتَكَرَّرْ فِي زَيِّ رَاغِلْ بِاللَّحِيَةِ وَتَسْلُحَتْ بِسَيْفٍ وَهَزَتْ زَدَهَا وَزَوَادَهَا وَتَوَكَّلَتْ عَلَى رَبِّي. تَلَاَقَتْ الشَّايِبْ قَالَتْلُو: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدِّي. قَالَلَهَا كُونْ مَجَاشْ سَلَامَكَ تَسْمَعِي طَقْطِيقْ عَظَامَكَ فِي رَاسِ الْجَبَلِ. قَالَتْلُو: يَا جَدِّي: مَشْفَتَشْ فَارَسْ عَاقِبْ مِنْ هُنَا ؟ قَالَلَهَا: رَانِي شَفْنُو كَانَ كُلْ مَايَفُوتْ عَلَيَّ يَسْقُسِينِي وَالْمَرَّةَ هَذَا رَاهُو كِي فَاتَ طَوَّلْ وَرَاهُو قَصْدَ بِلَادِ الْعُوْلَةِ وَرَاهِي فِيهَا غُولِيَّةٌ تَنْفُخْ عَلَى بَنِ آدَمِ يَوَلِّي حَجَرَ وَخُوكْ عَلَى تَطْوِيلَتُو رَاهُو وَلَا حَجَرَ مَالَا أَسْمِعِينِي مَلِيخْ: كِي تَلْحَقِي عِنْدَ الْغُولِيَّةِ اتَخَبِّي وَشُوفِيهَا وَاشْ تَدِيرْ، كِي تَلْقِيهَا تَرْجِي فِي الْحَصْحَاصِ فِي زُرُوسِ النَّاسِ مَتْرُوحِيشْ وَكِي تَلْقِيهَا وَتَعْنِي وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَدَائِرْ بِيهَا الْحَمَامُ لَبِيضْ وَتَلْقِي ضَرْعَهَا التَّالِي أَرْضَعِيهَا

وفُولي " وَحَقُّ اللَّي جَا بِيه نَبِينَا لَا تُوكَلِينِي وَلَا تَحُولِينِي حَجَرَ . ضَحَكَتِ الْغُولِيَّةُ
 وَقَالَتْ: اِطْلُبِي وَاشْ تَحْبِي. قَالَتْهَا: اِنْفَخِي عَلَى اللَّي حَوْلَتِيهِمْ حَجَرَ يَرْجِعُو كِيمَا
 كَانُو. نَفَخَتْ الْغُولِيَّةُ وَرَجَعُو النَّاسَ لَكُلِّ كِيمَا كَانُو حَتَّى حُوَهَا اللَّي فَرَحَ كِي
 شَافَهَا. قَالَتْ الْغُولِيَّةُ لِلطُّفْلَةِ وَاشْ تَزِيدِي تُطْلُبِي قَالَتْهَا: حُويَا يَحَوَسْ يَدِّي تَاجُ
 الْبِهَاءِ. ضَحَكَتِ الْغُولِيَّةُ وَقَالَتْ: هَذِيكَ زَاهِي بَنْتُ حُويَا قُولِي لِحُوكْ يَرُوحْ يَلْقَى
 لِبَنَازِيَتْ يَشْرَبُو فِي قَهْوَتُهُمْ وَيَلْعَبُو وَكُلُّهُمْ هَارَيْنَ كَيْسَانَ فَضَّةَ غَيْرَ وَحَدَّةَ هَارَةَ كَاسْ
 ذَهَبْ، يَرُوحَلَهَا وَيَقُولُهَا: رَاكِي مَرْتِي اعْطَاكَ لِيَا عَمَتِكَ الْغُولِيَّةُ. رَاخَ الطُّفْلُ دَارَ
 وَاشْ قَالَتْلُو اَخْتُو وَاَدَى تَاجُ الْبِهَاءِ اللَّي كَانَتْ فِي الْأَصْلُ جَنِّيَّةَ وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ اِنْهَا
 تَدِّي مَعَاهَا الصَّيْدَ وَاللَّبَّةَ وَعَمَّتْهَا الْغُولِيَّةُ. وَافَقَ الطُّفْلُ وَقَبْلَ بَشْرُوطِ تَاجُ الْبِهَاءِ
 الْجَنِّيَّةَ وَصَلُو لِدَارَ عَلَى خَيْرَ وَدَخَلُو بِجَمْلَتُهُمْ عَلَى اَخْتُو فَزَحَتْ بِهِمْ وَرَحَبَتْ.
 الْجَنِّيَّةُ تَاجُ الْبِهَاءِ مِنَ الدَّخْلَةِ عَرَفَتْ بِاللَّي كَايْنُ حَاجَةِ وَسَمِعَ بِهِمْ السُّلْطَانُ وَقَرَّرَ
 اَنَّهُ يَعْرِضُهُمْ لِقَصْرُو حَسَتْ تَاجُ الْبِهَاءِ وَعَرَفَتْ الْحَقِيقَةَ قَالَتْ لِعَمَّتْهَا اِنْتِي لِيكَ
 السُّتُوتُ وَاَنْتِ يَالسَّبْعَ لِيكَ الضَّرَّةُ نَنْعَ ذِرَاعُ الْكَتَّانُ وَاِنْتِي يَاللَّبَّةَ لِيكَ الضَّرَّةُ نَنْعَ
 رُبُوعِي الْقَمَحْ. فِي الْعَرْضِيَّةِ شَافَ السُّلْطَانُ مَعَ تَاجُ الْبِهَاءِ ذَهْلَ مِنْ جَمَالِهَا حَتَّى
 اَنَّهُ جُضَا يَشْرَبُ دَخَلَ الْكَاسَ فِي حَشْمُو مِنْ جَمَالِهَا قَالَتْلُو وَاشْ بِيكَ يَالسُّلْطَانُ
 تَشُوفْ مَعَايَا ؟ قَالَتْهَا: رَاكِي عَجَبْتِيْنِي بِالَاكَ نَفْكَكَ مِنْ عِنْدَ الطُّفْلِ قَالَتْلُو اَسْتَغْفِرُ
 اَللَّهَ رَاكَ كَفَرْتِ، اَسْمَعْنِي نَقُولَ لِيكَ اَنَا رَانِي جَنِّيَّةَ مِنْ بِلَادِ الْغُولَةِ وَرَانِي سُلْطَانَتُهُمْ
 وَأَنَا تُوْ مَرْتُ وَلَدُكَ وَهَذِي اَخْتُو وَهُومَا قَطَايَةَ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَأَمَّهُمُ اللَّي تَضْرِبُ
 فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَوَكَّلُ فِيهَا مَآكِلَةَ الْكَالَبِ وَاللَّي تَاهَمِيْنَهَا بِأَمِ الْغَرَابِ وَالْغَرَابَةِ. وَرَانِي
 رَاخَ نَحْكُمُ بِحُكْمِي. عَمَتِي، رُوجِي تَنْعَشِي وَالصَّيْدَ وَاللَّبَّةَ رُوحُو اَنْتُمْ ثَانِي اَتَعَشُو.
 الْغُولِيَّةُ فَهَمَّتْ وَرَاحَتْ قَتَلَتْ اَلْسُّتُوتَ وَالصَّيْدَ رَاخَ كَلَا الضَّرَّةَ اللُّوَلَةَ وَاللَّبَّةَ كَلَتْ
 الضَّرَّةَ الثَّانِيَةَ وَالطُّفْلُ نَاضَ يَجْرِي لَأْمُو وَأَمْرَ بَاشَ يَنْظُوهَا وَيَجِيْبُوهَا. تَعَجَّبَ
 السُّلْطَانُ مِنْ هَذِي الْحَاكَايَةِ، وَاشْ صَرَى لَوْلْدُو وَوَاشْ كَانَتْ دَايِرُ السُّتُوتَةِ وَنَسَاهُ.

وأمر أنو تندصار الحفلات سُبُع ليضالي وسُبُع أيام يُوكَل الصغير والكبير. وهكّا
كان عقاب من قتلاتو الغيرة وهكّا كان جزاء الصابُر كيما الطفل أدّى تاج البهاء.
وهذي هي حكايتنا قطاية ذهب ولوخرى فضة .

2-باللغة العربية الفصحى :

كَانَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ نِسَاءٍ فِي إِحْدَى الْبُيُوتِ يَعْمَلْنَ فِي السُّوقِ، تَكَلَّمَتْ إِحْدَاهُنَّ
وَقَالَتْ: "كَونْ يَدِّيْنِ السُّلْطَانِ نَكْسِيلُو ١ لِبِلَادْ بِذِرَاعُ مِنْ كَتَانْ" وَقَالَتْ الْآخَرَى:
"كَونْ يَدِّيْنِ السُّلْطَانِ نوكَلْ الْبِلَادْ بِرُبُوعِي قِمَحْ وَنَفْضَلْ مِنْهُ" وَقَالَتْ الثَّالِثَةُ: "كَونْ
يَدِّيْنِ اَنَا نَجِيْبِلُو قُطَايَةِ ذَهَبْ وَلُوخَرَى فَضَّةٌ" وَفِي وَقْتٍ كَانَتْ النِّسْوَةُ يَتَحَدَّثْنَ كَانَ
السُّلْطَانُ يُنْصِتُ إِلَيْهِنَّ خَفِيَّةً، فَقَرَّرَ أَنْ يَتَرَوَّجَهُنَّ الثَّلَاثَةَ، الْأُولَى فَعَلَتْ مَا قَالَتْ
حَيْثُ صَنَعَتْ مِنْ ذَاكَ الْقِمَاشِ خَوَاتِمَ وَكَسَتْ بِهَا الْبِلَادَ وَالثَّانِيَةُ قَامَتْ بِطَحْنِ
"رُبُوعِي" قِمَحٍ مَعَ "تَصَافِي" مِلْحٍ فَأَعْطَتْ سَكَانَ الْبِلَادِ وَأَكَلُوا مِنْهُ جَمِيعاً وَبَقِيَ مِنْهُ
الكَثِيرُ لِأَنَّهُ كَانَ مَالِحاً مِنْ يَتَذَوَّقُهُ يَلْفِظُهُ وَيَعْرُبُ لَشِدَّةِ مَلُوحَتِهِ، وَالثَّالِثَةُ: حَمَلَتْ
بِطْفَلَيْنِ وَحِينَ بَلَغَتِ الْمَخَاضَ اشْتَرَتْ لَهَا ضَرَائِرُهَا "غُرَاباً وَأُنْثَاهُ" وَخَبَأْنَهُمَا حَتَّى
تَلِدَ، فَوَلَدَتْ قُطَايَةَ ذَهَبٍ وَقُطَايَةَ فَضَّةٍ، فَغَارَتْ مِنْهَا ضَرَائِرُهَا وَأَخَذَتْ قُطَايَةَ
الذَّهَبِ وَالْفُضَّةَ وَوَضَعُوا فِي مَكَانِهَا غُرَاباً وَغُرَابَةً وَأَعْطَاوَا قُطَايَةَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةَ
لِلْقَابِلَةِ فَوَضَعَتْهُمَا الْقَابِلَةُ "السَّنُوتُ" فِي صُنْدُوقٍ مَعَ كَيْسَيْنِ مِنَ اللَّوْلُو وَرَمَتْهُمَا فِي
الْبَحْرِ، دَخَلَ السُّلْطَانُ الْقَصْرَ وَقَالَ لَهَا: مَاذَا وَلَدَتْ. فَالْتَفَتَتْ لِلْفَرَّاشِ وَانْتَفَضَتْ
مُتَفَاجِئَةً لَمَّا حَصَلَ فَقَالَتْ "غُرَاباً وَغُرَابَةً" فَغَضِبَ السُّلْطَانُ وَقَالَ: الْمَرَاتَانِ
الْآخِرَيَانِ فَعَلْتَا مَا قَالْتَا وَأَنْتِ لَمْ تَفِ بِنَذْرِكِ. وَكَانَ عِنْدَمَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَوْ يَخْرُجُ
يَضْرِبُهَا، وَكَانَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ صَيَّادٌ رَمَى شَبَكَتَهُ فَأَخْرَجَتْ صُنْدُوقاً فَذَهَبَ إِلَى
مَنْزِلِهِ فَرِحاً بِمَا ظَفَرَ مِنْ كَنْزٍ لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيراً وَلَمَّا بَادَرَ بِفَتْحِهِ انْتَابَهُ وَسْوَاسٌ بَأَنَّ
مَا يَوْجَدُ فِي الصُّنْدُوقِ خَطِيراً فَقَالَ: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ. وَفَتَحَ الصُّنْدُوقَ، فَوَجَدَ
"طِفْلاً وَطِفْلةً" وَنَادَى زَوْجَتَهُ وَقَالَ: أَنْظُرِي مَا وَجَدْتُ، إِنَّ هَذَا مِنَ الْأَرْزَاقِ الَّتِي

فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا. فَأَقْبَلْتُ الزَّوْجَةَ فَرَحَةً ظَنًّا مِنْهَا بِأَنْ فِيهَا طَعَاماً يُقَوِّيهَا عَلَى رِضَاعَةِ ابْنِهَا، فَوَجَدْتُ طِفْلاً، وَقَالَتْ: مَنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ نُطْعِمَهُمَا؟ فَقَالَ: تَوَكَّلِي عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ مَعَهُمَا كَيْسَانَ مِنَ اللَّوْلُؤِ. فَفَرَحْتُ الزَّوْجَةَ، وَقَامَ الزَّوْجُ بِشِرَاءِ مَا لَدَّ وَطَابَ مِنَ الْخِيَرَاتِ، وَقَامَتِ الْأُمُّ بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلَيْنِ مَعَ أَوْلَادِهَا عَلَى أَنَّهُمْ إِخْوَةٌ حَتَّى شَبُّوا وَكَبُرُوا. وَفِي أَحَدٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَبَيْنَمَا الطِّفْلُ يَلْعَبُ رَمَى أَحَدُهُمْ بِحَجَرٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ: أَنَا أَعَزُّ مِنْكَ لِأَنْ أَبَوَايَ لَمْ يَجِدَانِي فِي الْبَحْرِ. فَاغْتَاطَ الطِّفْلُ لَذَلِكَ وَسَالَ أُمُّهُ "مُرِّيْتَهُ" فَفَنَدَّتِ الْأُمُّ كُلَّ ذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ: أَنْتَ وَلَدُنَا وَمَنْ صُلْبِنَا. وَلَكِنَّ الطِّفْلَ أَصْرَ عَلَى أُمِّهِ أَنْ تَقُولَ الْحَقِيقَةَ لِأَنْ غَيْرَ ذَلِكَ مَا يَدُورُ فِي الشَّارِعِ، فَمَا كَانَ مِنَ الْأُمِّ إِلَّا أَنْ أَخْبَرَتْهُ بِالْخَبْرِ. فَفَرَّرَ الرَّحِيلُ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي الْحَقَّتْهُ الْأَذَى مِنَ النَّاسِ وَسُخْرِيَتِهِمْ، فَفَرَّرَ الْبَحْثَ عَنِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْحَقِيقِيِّ لِيُثْبِتَ نَسَبِهِ. أَمَّا أُمُّهُ الْحَقِيقِيَّةُ كَانَتْ تَتَخَبَّطُ فِي الْعَذَابِ تَأْكُلُ مِنَ النَّخَالَةِ "أَكْلَ الْبَهَائِمِ" وَتَشْرَبُ مِنَ الْجَوَابِي "الْآبَارِ" وَيُضْرِبُهَا السُّلْطَانُ كُلَّمَا رَأَاهَا لِعَدَمِ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ أَمَّا الْأُخْرَيَاتُ كُنَّ يَنْعَمْنَ بِالْعَيْشِ الْهَنِيِّ لَوْفَانَهُنَّ بِالْعَهْدِ .

أَمَّا الْوَلَدَانِ فَقَدْ ضَرَبَا فِي الْبِلَادِ بَحْثًا عَنِ وَالِدَيْهِمَا، فَلَمْ يَتْرُكُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا حَتَّى مَرُّوا بِهِ، حَتَّى دَخَلُوا بِلَادَ السُّلْطَانِ "أَبِيهِمَا" فَاسْتَقْبَلَهُمَا وَأَسْكَنَهُمَا. وَفِي النَّهَارِ رَأَى الشَّابُّ خِيَالَةَ السُّلْطَانِ يَتَسَابِقُونَ فَقَالَ لِأُخْتِهِ: هَيَّا نَلْعَبْ مَعَهُمْ. وَذَهَبَ الْوَلَدُ "قَطَايَةَ الذَّهَبِ" وَتَزَيَّنَ وَفَعَلَتْ أُخْتُهُ كَذَلِكَ وَحِينَ رَأَاهُم السُّلْطَانُ تَذَكَّرَ عَهْدَ زَوْجَتِهِ وَذَهَبَ إِلَيْهَا غَاظِبًا فَقَالَ لَهَا: لِمَاذَا لَمْ تَلِدِي لِي قَطَايَةَ ذَهَبٍ وَقَطَايَةَ فَضَّةٍ كَمَا حَالُ الْوَلَدَيْنِ بِالْخَارِجِ فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأُخْرَيَاتُ بِذَلِكَ أَمْرُنَ "الْعَجُوزَ السُّتُوتَ" بِقَتْلِ الْوَلَدَيْنِ فَقَصَدَتْ الْعَجُوزَ "السُّتُوتَ" الْوَلَدَ وَقَالَتْ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مَتَزَوِّجٌ؟ فَرَدَّ عَلَيْهَا: لَا. وَسَأَلَتْهُ أَيْضًا: هَلْ لَدَيْكَ بَيْتٌ؟ فَأَجَابَهَا بِنَعْمٍ. وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُرِيحَهَا إِيَّاهُ، فَقَالَتْ لَهُ: بَيْنُكَ جَمِيلٌ لَكِنْ تَنْقُصُهُ خِرَازَةٌ بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ. فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ أَجِدُ هَذِهِ الْخِرَازَةَ؟ فَقَالَتْ لَهُ: تَجِدُهَا فِي بِلَادِ الْغُولِ. فَذَهَبَ إِلَى أُخْتِهِ فَقَالَ لَهَا: اصْنَعِي لِي

خُبْرًا وَ"زَمِيئَةً" حَتَّى أَشْتَرِيَ خَزَانَةً بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ، وَصَنَعْتُ لَهُ أُخْتَهُ مَا أَرَادَ وَذَهَبَ لِلْحَصُولِ عَلَى الْخَزَانَةِ، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ رَجُلًا مَسْنًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: لَوْلَا سَلَامُكَ لَسَمِعْتَ طَفْطُفَةً عِظَامِكَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ الطِّفْلُ: أَيْنَ أَجْدُ خَزَانَةً بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: إِنَّ الَّذِي دَلَّكَ عَلَيْهَا أَرَادَكَ أَنْ تَمُوتَ سَتَجِدُهَا فِي بِلَادِ "الْغُولَةِ" وَحَتَّى تَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَمَعَكَ الْخَزَانَةُ سَيَقُولُونَ لَكَ إِنْتَظِرْ لِتَزِيدَكَ، فَلَا تُبَالِي لَهُمْ وَامْضِ إِلَى سَبِيلِكَ. ففعل الطِّفْلُ مَا قَالَ لَهُ الشَّيْخُ حَتَّى إِذَا رَجَعَ لَهُ قَالَ: لَقَدْ أَتَيْتُ بِالْخَزَانَةِ. فَقَالَ الشَّيْخُ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَادْهَبْ إِلَى دَارِكَ. وَصَلَ الطِّفْلُ إِلَى الدَّارِ وَوَضَعَ الْخَزَانَةَ وَأَوْصَى أُخْتَهُ وَقَالَ لَهَا: سَأَنَامُ وَلَمَّا يَأْتِي وَقْتُ سَبَاقِ الْخِيَالَةِ أَيقِظْنِي. فَكَانَ الطِّفْلُ كُلَّمَا ذَهَبَ لِلْعَبِّ يَرَاهُ السُّلْطَانُ وَيَذْهَبُ لِيَضْرِبَ زَوْجَتَهُ وَأَيْضًا تَمَكَّرُ بِهِمَا الضَّرَّتَانِ وَالسَّتُّوتُ لَكِي تَقْتُلَهُمَا وَفِي أَحَدِ الْيَوْمِ ذَهَبَتْ لَهُ السَّتُّوتُ وَقَالَتْ لَهُ "دَارُكَ" بَيْنَكَ رَائِعٌ وَأَنْتِ وَأَخْتُكَ رَائِعَانِ "مَلَّاحٌ" وَلَكِنْ تَخْصُكَ زَوْجَةٌ. فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ أَجْدُهَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ: هِيَ مَوْجُودَةٌ وَاسْمُهَا "تَاجُ الْبَهَاءِ". فَكَّرَ مَلِيًّا وَأَخْبَرَ أُخْتَهُ بِالْأَمْرِ وَقَالَ لَهَا: أَحْضِرِي لِي حِصَانِي وَزَادِي لَكِي أَجْلِبَ عَرُوسِي. فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إِنَّ هَذِهِ الْعَجُورُ "السَّتُّوتُ" تُرْسِلُ بِكَ إِلَى حَقِّكَ. وَلَكِنَّ الطِّفْلَ عَزَمَ عَلَى الدَّهَابِ وَعَمِلَ مَا يَدُورُ فِي رَأْسِهِ، وَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ "تَاجِ الْبَهَاءِ" حَتَّى وَصَلَ إِلَى بِلَادِ "الْوُحُوشِ وَالْغُولِ" وَعِنْدَمَا وَصَلَ نَفَحَتْ الْغُولَةُ فِي وَجْهِهِ فَحَوَّلَتْهُ إِلَى حَجَرٍ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلَقَتْ أُخْتُهُ عَلَى طَوْلِ فِرَاقِهِ وَغَيْبَتِهِ، وَخَرَجَتْ لِلْبَحْثِ عَنْهُ مُتَكَرِّرَةً فِي زِيٍّ رَجُلٍ بِاللَّحِيَةِ، وَتَسَلَّحَتْ بِالسَّيْفِ، وَحَمَلَتْ زَادَهَا وَتَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ.

وَفِي طَرِيقِهَا نَفَقَتْ بِشَيْخٍ فَقَالَتْ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ لَهَا: لَوْلَا سَلَامُكَ لَسَمِعْتَ صَوْتَ طَفْطُفَةٍ عِظَامِكَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا جَدِّي، أَلَمْ تَرَ فَارِسًا مَرًّا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ ؟ فَقَالَ لَهَا: رَأَيْتُهُ مَرًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْنِي كِعَادَتِهِ وَيَسْأَلُنَا مَطْلَبَهُ، وَمَرَّ مِنْ هُنَا وَقَصَدَ دَرْبَ بِلَادِ الْغُولِ وَبَيْنَهُمْ غُولَةٌ تَنْفُخُ عَلَى الْعَبْدِ

فِيَتَحَوَّلُ إِلَى حَجَرٍ، وَأُخَوِّكِ عَلَى حَسَبِ الْمُدَّةِ الَّتِي غَابَهَا فَقَدْ صَارَ حَجَرًا. فَاسْمَعِي مَا أَقُولُهُ لَكَ، عِنْدَمَا تَصْلِينَ إِلَى الْغُولَةِ اخْتَبَيْي وَشَاهِدِي مَاذَا تَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتَهَا تَطْحَنُ الْحَصَى فِي أَضْرَاسِ النَّاسِ لَا تَقْتَرِبِي مِنْهَا وَعِنْدَمَا تَشَاهِدِينَهَا تَطْحَنُ الْقَمْحَ وَتَغْنِي وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَيَحُومُ فَوْقَهَا الْحَمَامُ الْأَبْيَضُ فَارْضَعِي نَدِيهَا وَقُولِي لَهَا: بِحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُحَوِّلِينِي حَجَرًا. ابْتَسَمَتِ الْغُولَةُ وَقَالَتْ لَهَا: اطْلُبِي حَاجَتَكَ. فَقَالَتْ لَهَا: انْفُخِي عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوَّلْتَهُمْ حَجَرًا. فَنفخت فَرَجَعَ النَّاسُ سِيرَتَهُمُ الْأُولَى وَحَتَّى أَخُوها كَذَلِكَ. فَقَالَتْ الْغُولَةُ: مَاذَا تَطْلُبِينَ؟ فَقَالَتْ لَهَا: أَطْلُبُ مِنْكَ "تَاجَ الْبَهَاءِ" زَوْجَةً لِأَخِي. فَقَالَتْ لَهَا الْغُولَةُ: تَاجُ الْبَهَاءِ ابْنَةُ أَخِي، أَخْبِرِيهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْبَنَاتِ اللَّاتِي يَشْرِبْنَ الْقَهْوَةَ وَيَلْعَبْنَ وَيَحْمِلْنَ كُؤُوسَ الْفِضَّةِ، وَتَاجُ الْبَهَاءِ تَحْمِلُ كَأْسَ الذَّهَبِ، فَيُخْبِرُهَا بِأَنَّهَا صَارَتْ زَوْجَةً لَهُ بِمُوافَقَةِ عَمَّتِهَا الْغُولَةِ. ذَهَبَ الْطِفْلُ وَعَمِلَ مَا أَوْصَتْهُ بِهِ الْغُولَةُ وَتَرَوَّجَ تَاجُ الْبَهَاءِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ جَنِّيَّةٌ، وَاشْتَرَطَتْ أَنْ تَأْخُذَ مَعَهَا الْأَسَدَ وَاللَّبُؤَةَ وَعَمَّتِهَا الْغُولَةُ. وَافَقَ الْطِفْلُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الدَّارِ أَحْسَتَ تَاجُ الْبَهَاءِ بِأَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا سَمِعَ بِهِ السُّلْطَانُ فَقَرَّرَ دَعَوَتَهُمْ إِلَى قَصْرِهِ فَعَرَفَتْ تَاجُ الْبَهَاءِ الْحَقِيقَةَ وَأَخْبَرَتْ عَمَّتِهَا الْغُولَةَ بِأَنَّ تَتَوَلَّى أَمْرَ السَّنُوتِ، وَأَنْ يَتَوَلَّى السَّبْعُ أَمْرَ الضَّرَّةِ صَاحِبَةُ ذِرَاعِ الْكُتَّانِ وَاللَّبُؤَةُ تَتَوَلَّى أَمْرَ الضَّرَّةِ صَاحِبَةُ رَبْعِي الْقَمْحِ. وَأَثْنَاءَ الدَّعْوَةِ وَالْعُزُومَةِ تَأَمَّلَ السُّلْطَانُ فِي تَاجِ الْبَهَاءِ فَأَذْهَلَ بِجَمَالِهَا حَتَّى أَنَّهُ أَثْنَاءَ شُرْبِهِ الْمَاءِ دَخَلَ الْكَأْسُ أَنْفَهُ فَقَالَتْ تَاجُ الْبَهَاءِ: حَسْبُكَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ لِمَاذَا تَنْتَظِرُ إِلَيَّ؟ فَقَالَ لَهَا: أَعْجَبْتِي وَأَنَا أَفَكَّرُ فِي أَخْذِكَ مِنْ يَدِ الْطِفْلِ. فَقَالَتْ لَهُ تَاجُ الْبَهَاءِ: إِنَّكَ كَفَرْتَ أَنَا جَنِّيَّةٌ مِنْ بِلَادِ الْغُولِ، وَأَنَا مَلِكُهُمْ، وَأَنَا الْآنَ زَوْجَةُ لِابْنِكَ، وَهَذِهِ هِيَ أَخْتُهُ وَهُمَا قِطَايَةُ ذَهَبٍ وَأُخْرَى فَضَّةٌ وَأُمُّهُمَا هِيَ الَّتِي تَضْرِبُهَا كُلَّ يَوْمٍ وَتُطْعِمُهَا طَعَامَ الْكِلَابِ، وَالْمَتَّهَمَةُ بِأَمِّ الْغُرَابِ وَالْغُرَابَةِ وَسَاحِكُمُ بِحُكْمِي. فَقَالَتْ لِعَمَّتِهَا: اذْهَبِي وَتَتَوَلَّى عِشَاءَكَ كَذَلِكَ

الأسد واللُبُوءة. ففهموا مالمقصود وتولَّى كُلُّ واحد أمره الَّذِي عَرَفَهُ من قبل وأخذَ الطُّفْلُ وأُخْتُهُ أُمَّهُمَا وأَمَرًا بتنظيفِها. تَعَجَّبَ السُّلْطَانُ من هذه الحكاية وماذا حدث لابنه وابنته وأَمَرَ بأن تُقام الحفلات سبعة أيَّام لبلياليها للصَّغير والكبير، الفقير والغني. وهذه هي حكايةُ قطاية ذهب وأُخرى فضة .

3-رَاوِيَةُ الْحِكَايَةِ: هِيَ السَّيِّدَةُ سُوفِي نَوَّة ابنة ابراهيم رَوْجَةُ السَّيِّدِ بلُحُسين بَحْوش مِنْ مَوَالِيد 04 أَفريل 1945 بِفِرْكَان دائرة نقرين ولاية تبسة، المهنة: لا شيء. تَمَّت رِوَايَةُ حِكَايَةِ "قطاية ذهب والأُخرى فضة" يَوْمَ 10 جَانفِي 2015 فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاء الطَّوِيلَةِ بِحُضُورِ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ مِنْ فَنَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ، وَبِالضَّبْطِ عَلَى السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ لَيْلًا وَاسْتَمَرَّتِ الْحِكَايَةُ وَاللَّمَّةُ حَتَّى السَّاعَةِ الصُّفْرِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَلَعَلَّ أَوَّلَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي تُوجَّهُ لِلرَّائِي مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ؟ وَأَيْنَ سَمِعْتَهَا ؟ فَيُجِيبُ وَتَكْثُرُ الْعِنَنَةُ وَيَقُولُ سَمِعْتُهَا قَدِيمًا عَنْ جَدَّتِي ثُمَّ أُمِّي بَعْدَهَا وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ حَكَايَاتٌ قَدِيمَةٌ تَنْتَقِلُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ مَجْهُولَةً الْمُؤَلِّفِ لَا كَيَانَ لَهَا إِلَّا عَبْرَ الذَّاكِرَةِ الْجَمْعِيَّةِ أَيْنَ نَجِدُ «الرُّوَاةَ فِي رِحْلَتِهِمْ مَعَ الرُّوَايَةِ يَتَفَقَّهُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْصُ اتِّسَاعَ حَصِيلَتِهِمْ مِنَ الثَّرَاثِ الْقَصَصِيِّ، وَمَوَاهِبِهِمُ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ الَّتِي تَنْتَعِلُ بِالْهَيْئَةِ وَالصَّوْتِ وَمَلَامِحِ الْوَجْهِ وَسَيِّطَرَتِهِمْ عَلَى أَدَوَاتِهِمُ الْفَنِيَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ الْقَصِّ، وَقُوَّةَ ذَاكِرَتِهِمْ وَجُرَاتِهِمْ عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّجْدِيدِ. وَتَلْعَبُ كُلُّ هَذِهِ الْقُدْرَاتِ دَوْرَهَا فِي جَذْبِ انْتِبَاهِ الْجَمَاعَةِ وَدَمْجِهَا فِي الْجَوِّ الَّذِي تَخْلُقُهُ الْقِصَّةُ»⁽²⁹⁾.

٧/تَقْسِيمُ الْحِكَايَةِ إِلَى مَقَاطِعٍ حَسَبَ مَسَارَاتِهَا وَأَحْدَاثِهَا :

تَقْسِيمُ خِطَابِ الْحِكَايَةِ: يُمْكِنُ تَقْسِيمُ خِطَابِ الْحِكَايَةِ إِلَى خَمْسَةِ مَقَاطِعٍ حَسَبَ مَسَارَاتِهَا وَأَحْدَاثِهَا

1- المَقْطَعُ الْأَوَّلُ:

- رَغْبَةُ النُّسُوءِ الثَّلَاثِ فِي الرِّوَاكِ مِنَ السُّلْطَانِ

- تَعَاقَدُ النِّسْوَةَ مَعَ السُّلْطَانِ فِي تَلْبِيَةِ وَعُودِهِمْ مُقَابِلَ هَذَا الزَّوْاجِ .
- تَلْبِيَةُ الْوَعْدِ مِنْ طَرَفِ الزَّوْجَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَقَطْ
- كَيْدُ الزَّوْجَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ لِلزَّوْجَةِ الثَّالِثَةِ
- ظُهُورُ السَّتَوْتِ كَمُسَاعِدٍ لِلزَّوْجَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فِي التَّخْلُصِ مِنَ الطِّفْلِ
"قَطَايَةِ الذَّهَبِ" وَالطِّفْلَةَ "قَطَايَةَ الْفِضَّةِ" وَاسْتِنْدَالُهُمَا بِغُرَابٍ وَغُرَابَةٍ .
- رَمَى السَّتَوْتِ الطِّفْلَةَ وَالطِّفْلَ مَعَ كَيْسَيْنِ مِنَ اللَّوْلُؤِ فِي الْيَمِّ بَعْدَ وَضْعِهِمَا
فِي صُنْدُوقِ خَشَبِيٍّ .

- غَضِبَ السُّلْطَانُ مِنَ الزَّوْجَةِ الثَّالِثَةِ فِي عَدَمِ تَلْبِيَةِ وَعْدِهَا .

2- الْمَقْطَعُ الثَّانِي:

- عُنُورُ الصَّيَّادِ الْفَقِيرِ عَلَى الصَّنْدُوقِ
- فَرَحُ زَوْجَةِ الصَّيَّادِ بِالْمَوْلُودَيْنِ "قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفِضَّةِ" وَبِالْوُلُؤِ
الَّذِي كَانَ مَعَهُمَا .

- ضَمُّ الطِّفْلِ وَالطِّفْلَةِ وَتَرْبِيَتُهُمْ حَتَّى سِنِّ الرُّشْدِ .
- مَعْرِفَةُ الطِّفْلِ بِحَقِيقَةِ أَصْلِهِ .
- إِصْرَارُ الطِّفْلِ عَلَى الرَّجِيلِ وَالبَحْثِ عَنْ وَالِدَيْهِ .

3- المَقْطَعُ الثَّالِثُ:

- وَصُولُ الطِّفْلِ الْبَالِغِ وَأُخْتُهُ إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ
- مُشَارَكَتُهُمَا فِي سِبَاقِ الْخَيْالَةِ وَإِعْجَابُ السُّلْطَانِ بِهِمَا .
- سَمَاعُ الزَّوْجَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ بِأَمْرِ الطِّفْلِ وَالطِّفْلةِ وَالتَّعَرُّفُ عَلَيْهِمَا.
- طَلَبُ الزَّوْجَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ بِأَمْرِ مِنَ السَّنُوتِ الْإِطَاحَةَ بِهِمَا "قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفِضَّةِ"

- تَدْبِيرُ الْمَكَائِدِ لِلطِّفْلِ مِنْ قَبْلِ السَّنُوتِ .

4- المَقْطَعُ الرَّابِعُ:

- دُخُولُ الطِّفْلِ الْعَالَمِ الْآخَرِ "عَالَمِ الْغُولِ"
- الرَّحْلةُ الْأُولَى الْمُدْبَرَةُ مِنَ السَّنُوتِ وَهِيَ جَلْبُ خِزَانَةٍ بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ.
- الرَّحْلةُ الثَّانِيَةُ لِلْبَحْثِ عَنْ تَاجِ الْبَهَاءِ وَالزَّوْاجِ مِنْهَا.
- غِيَابُ الطِّفْلِ الَّذِي حَوَّلَتْهُ الْغُولَةُ إِلَى حَجَرٍ وَقَلَقُ أُخْتِهِ عَلَيْهِ.
- رَجِيلُ الطِّفْلةِ مُتَتَكِّرَةً بِحِيلَةٍ لِلْبَحْثِ عَنْ أَخِيهَا الْمَفْقُودِ.
- لِقَاءُ الْأُخْتِ "الطِّفْلةِ" بِالشَّيْخِ .
- لِقَاءُ الْغُولَةِ وَمَرَاوَدَتْهَا مِنْ طَرَفِ الطِّفْلةِ.
- قَبُولُ الْغُولَةِ طَلَبِ الطِّفْلةِ.
- تَحْوِيلُ الْغُولَةِ أَسْرَاهَا مِنْ حَجَرٍ إِلَى سِيرَتِهِمِ الْأُولَى بِمَا فِيهِمِ الطِّفْلُ "قَطَايَةِ الذَّهَبِ"

- خُطْبَةُ الطِّفْلةِ لِتَاجِ الْبَهَاءِ عَرُوساً لِأَخِيهَا.
- وَصُولُ الطِّفْلِ إِلَى تَاجِ الْبَهَاءِ وَالزَّوْاجِ مِنْهَا.

5- المَقْطَعُ الْخَامِسُ:

- وَصُولُ قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفِضَّةِ وَتَاجِ الْبَهَاءِ مَعَ مُسَاعِدِيهَا إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ.

- دَعْوَةُ السُّلْطَانِ لِتَاجِ الْبَهَاءِ وَقِطَايَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَاعْجَابُ السُّلْطَانِ
بِتَاجِ الْبَهَاءِ

- إِدْرَاكُ تَاجِ الْبَهَاءِ لِكُلِّ مَا خَطَّطَ لَهُ النِّسْوَةُ "الضَّرَائِرُ" وَالسَّنَوْتُ.

- الْإِثْتِقَامُ مِنَ الْجُنَاةِ.

- تَحْرِيرُ الزَّوْجَةِ الثَّالِثَةِ الْمَظْلُومَةِ.

- إِقَامَةُ الْحَفَلَاتِ وَعُرْسِ الطِّفْلِ وَتَاجِ الْبَهَاءِ.

IV/الوظائف الاتصالية في الحكاية الشعبية "قطاية" ذهب وأخرى

فضة":

بِمَا أَنَّ الدَّرَاسَةَ سَتَكُونُ عَبْرَ اللُّغَةِ بِاعْتِبَارِهَا مَوْضُوعًا لِلتَّوَاصُلِ فَسَنُحَاوِلُ
أَنْ نَحَدِّدَ بَعْضَ الْوُظَائِفِ الْإِتِّصَالِيَّةِ حَسَبَ خُطَاةِ "رُومَانَ جَاكَبْسُون" الْإِتِّصَالِيَّةِ
وَالَّتِي بِدَوْرِهَا سِتَّةُ عَنَاصِرٍ أَسَاسِيَّةٍ وَهِيَ الْمُرْسِلُ وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ وَالرَّسَالَةُ وَالْقَنَاءُ
وَالْمَرْجِعُ وَاللُّغَةُ. حَيْثُ يُرْسَلُ الْمُرْسَلُ رِسَالَةً إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ تَتَّصِمُنُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
مَوْضُوعًا أَوْ مَرْجِعًا بِلُغَةٍ يَفْهَمُهَا كُلُّ مِنَ الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ.

وَلِهَذِهِ الْبُنْيَةُ الْحِكَايِيَّةُ بَعْدَ وَظِيفِيٍّ يَتِمَّتْ فِي سِتِّ وَظَائِفَ: الْمُرْسَلُ وَظِيفَتُهُ
انْفِعَالِيَّةٌ، وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ وَظِيفَتُهُ تَأْثِيرِيَّةٌ وَالرَّسَالَةُ وَظِيفَتُهَا جَمَالِيَّةٌ وَالْمَرْجِعُ وَظِيفَتُهُ
مَرْجِعِيَّةٌ وَالْقَنَاءُ وَظِيفَتُهَا حِفَاظِيَّةٌ وَاللُّغَةُ وَظِيفَتُهَا وَصْفِيَّةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ .

1-الوظائف الاتصالية للمقطع الأول (الإفتاحي):

تَتَجَسَّدُ الْوُظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ مِنْ خِلَالِ الْمُرْسَلِ الْمُتَمَثِّلِ فِي النِّسْوَةِ الثَّلَاثِ،
وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ الْمُتَمَثِّلِ فِي شَخْصِ السُّلْطَانِ، وَالرَّسَالَةُ الْمُوجَّهَةُ رَغْبَتُهُنَّ فِي الزَّوْاجِ
مِنَ السُّلْطَانِ، عَبْرَ لُغَةٍ يَفْهَمُهَا الْمُرْسَلُ وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ وَهِيَ خَرَقُ الْمَأْلُوفِ، يَتِمَكَّنُ
الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ مِنْ فَكِّ شَيْفَرَةِ الْمُرْسَلِ وَيُسَاهِمَانِ فِي تَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ. سَمَاعُ الْمُرْسَلِ
إِلَيْهِ مُبَاشَرَةٌ عَبْرَ وَسِيطِ الْكَلَامِ الَّذِي أَكَّدَ التَّوَاصُلَ وَاسْتِمْرَارِيَّةَ التَّبْلِيغِ. وَالْوُظِيفَةُ
الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ: الْوُظِيفَةُ التَّأْثِيرِيَّةُ مِنْ خِلَالِ تَأْثِيرِ

النِّسْوَةَ عَلَى السُّلْطَانِ وَاسْتِمَالَتِهِ لِلْقَبُولِ بِهَذَا الزَّوَاجِ ثُمَّ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِالْمُرْسَلِ وَالَّتِي تَتِمَّنُّ فِي رَغْبَةِ النِّسْوَةِ فِي الزَّوَاجِ مِنَ السُّلْطَانِ بِخَرْقِ الْمَأْلُوفِ وَرُكُوبِ الْمُسْتَحِيلِ. ثُمَّ الْوِظِيفَةُ الْجَمَالِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُهَا الرِّسَالَةُ الْمَلِيَّةُ بِالرُّمُوزِ فَرَمَزُ الْقَطَايَةِ (الطَّائِرُ الْجَمِيلُ) يَرَمَزُ لِحِمَالِ الطِّفْلِ وَالطِّفْلَةِ وَرَمَزُ الْغُرَابِ الَّذِي يُحِبُّنَا عَلَى السَّوَادِ وَيَشَرُّ الْعَبِيدِ الْمَنْبُودَةِ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ (الوصيف)، الْوِظِيفَةُ الْوَصْفِيَّةُ التَّفْسِيرِيَّةُ الَّتِي تَهْدِفُ إِلَى تَفْكِيكِ الشُّفْرَةِ بَعْدَ تَسْنِينِهَا مِنْ طَرَفِ الْمُرْسَلِ، ثُمَّ الْوِظِيفَةُ الْخَافِظَةُ الَّتِي تَمَثِّلُ فِي الْحَوَارِ الْقَائِمِ بَيْنَ الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَالَّذِي يَحْفَظُ أَصْلًا عَمَلِيَّةَ الْإِتِّصَالِ وَالتَّبْلِيغِ.

تُقَامُ عَمَلِيَّةُ تَوَاصُلِيَّةٌ أُخْرَى بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالزَّوْجَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ مِنْ خِلَالِ الرِّسَالَةِ الَّتِي تُرْسَلُهَا الزَّوْجَتَانِ (الْمُرْسَلِ) إِلَى السُّلْطَانِ (الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ) وَالْمُتَمَثِّلُ فِي تَلْبِيَةِ الْوَعْدِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمَا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَطَعْنَا فِيهِ الْإِتِّصَالَ مَعَ السُّتُوتِ كَمُرْسَلٍ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَانَ سِيَاقُهَا التَّخْلُصُ مِنَ الطِّفْلِ وَالطِّفْلَةِ (قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفِضَّةِ)، وَفِي كِلَا الْعَمَلِيَّتَيْنِ التَّوَاصُلِيَّتَيْنِ كَانَتْ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ هِيَ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ وَالْوِظِيفَةُ التَّأْثِيرِيَّةُ. فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ يَتَحَوَّلُ السُّلْطَانُ مِنْ مُرْسَلٍ إِلَيْهِ إِلَى مُرْسَلٍ وَتُقَامُ عَمَلِيَّةُ تَوَاصُلِيَّةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّوْجَةِ الثَّالِثَةِ الَّتِي يُطْلَبُ مِنْهَا فِي رِسَالَةٍ كَانَ سِيَاقُهَا تَنْفِيزُ الْوَعْدِ الْمَفْرُوضِ عَبْرَ الْقَنَاءِ الْإِتِّصَالِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْحَوَارِ الْمُبَاشِرِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لِلسُّلْطَانِ أَنَّهَا وَلَدَتْ لَهُ غُرَابًا وَغُرَابَةً. وَالْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ لِلْمُرْسَلِ خَاصَّةً فِي تَأْثِيرِهِ عَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ (الزَّوْجَةِ الثَّالِثَةِ)

2- الوظائف الاتصالية للمقطع الثاني :

تَقَامُ الْعَمَلِيَّةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ بَيْنَ الصَّيَّادِ الَّذِي يُمَثَّلُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْمُرْسِلَ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ الَّتِي تُمَثَّلُ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَالرَّسَالَةَ الَّتِي بَيْنَهُمَا هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الصُّنْدُوقِ الَّذِي وَجَدَهُ الصَّيَّادُ فِي الْيَمِّ وَوُجُودُ الطِّفْلِ وَالطُّفْلَةِ بِدَاخِلِهِ، وَقَنَاةُ الْإِتِّصَالِ وَتَمَثَّلَتْ فِي الْحَوَارِ وَالْجِدَالِ الْقَائِمِ بَيْنَ الصَّيَّادِ وَزَوْجَتِهِ وَالَّتِي بِدَوْرِهَا تُبَيِّنُ لَنَا مَدَى الْحِفَاطِ عَلَى الْعَمَلِيَّةِ التَّوَالُصِيَّةِ وَاسْتِمْرَارِهَا .

وَالْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ هِيَ الْوِظِيفَةُ الْمَرْجِعِيَّةُ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ الَّتِي أَرْعَجَتْ زَوْجَةَ الصَّيَّادِ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ وَأَفْرَحَتْهَا فِي نَهَائَتِهِ بَعْدَ رُؤْيَيْهَا لِلْوُلُوِّ فِي الصُّنْدُوقِ مَعَ الطِّفْلِ وَالطُّفْلَةِ (قِطَايَةِ الذَّهَبِ وَقِطَايَةِ الْفِضَّةِ). ثُمَّ تُهَيِّمُ الْوِظِيفَةُ الْوِظِيفَةُ التَّائِيْدِيَّةُ بِالنَّسَبَةِ لِلزَّوْجَةِ وَتَأْتِرُهَا نَتِيجَةُ الْوِظِيفَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ لِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَالُصِيَّةِ .

كَشَفَ الطِّفْلُ (قِطَايَةِ الذَّهَبِ) حَقِيقَةَ أَصْلِهِ وَأَصْلَ أُخْتِهِ (قِطَايَةِ الْفِضَّةِ) مِنْ خِلَالِ تَوَالُصِهِ مَعَ أَحَدِ سُكَّانِ قَرْيَةِ الصَّيَّادِ مِنْ خِلَالِ الرَّسَالَةِ الَّتِي بَنَّا إِلَى الطِّفْلِ كَمُرْسِلٍ إِلَيْهِ وَالَّتِي كَانَ سِيَاقُهَا النَّسَبُ غَيْرُ الْمَعْرُوفِ لِلطِّفْلِ وَالطُّفْلَةِ عَبْرَ الْقَنَاةِ الْإِتِّصَالِيَّةِ الْمُبَاشِرَةِ وَالتَّمَثُّلَةِ فِي الْحَوَارِ الْقَائِمِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالطِّفْلِ "أَنَا خَيْرُ مَنْكَ، أَنَا عِنْدِي وَالِدِيَا" وَالْوِظِيفَةُ الْأَكْبَرُ هَيْمَنَةُ هِيَ الْوِظِيفَةُ الْمَرْجِعِيَّةُ الَّتِي أَثَرَتْ عَلَى ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي "الطِّفْلُ" وَجَعَلَتْهُ يُقِيمُ اتِّصَالاً مُبَاشِراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ بِالتَّبَيُّنِ "زَوْجَةُ الصَّيَّادِ" فَكَانَ الْمُرْسِلُ "الطِّفْلُ" وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ "أُمُّهُ" وَالرَّسَالَةُ الْمَوْجَّهَةُ مُطَالَبَةُ الْأُمِّ بِكَشْفِ حَقِيقَةِ نَسَبِ الطِّفْلِ قِطَايَةِ الذَّهَبِ وَالطُّفْلَةِ قِطَايَةِ الْفِضَّةِ، أَوْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُوْدِّي إِلَى الْأَبْوَيْنِ الْحَقِيقِيَيْنِ .

فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ تَبْدُو الْوِظِيفَةُ الْمُهِمَّةُ هِيَ الْوِظِيفَةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ لِلْمُرْسِلِ وَالَّتِي تُمَثِّلُهَا الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالذَّهْنِيَّةُ لَهُ وَمُحَاوَلَةُ تَأْثِيرِهِ عَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الْمَسْتَوْرِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ. يَنْتَقِلُ الْحَوَارُ فَيَنْتَقِلُ مَعَهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ "الْأُمُّ

رُوجَةُ الصَّيَادِ" إِلَى مُرْسِلٍ يَبْتُ رِسَالَةً إِلَى الْمُتَلَقِّي "الطُّفْلَ" وَتُخْبِرُهُ عَنْ حَقِيقَةِ نَسَبِهِ
فَتَنْصَحُ الْوَظِيفَةَ الْإِتِّصَالِيَّةَ مُهَيِّمِينَ مِنْ خِلَالِ تَأْثِيرِ الْمُرْسِلِ "الْأُمَ" عَلَى "الطُّفْلِ"
الْمُرْسِلِ إِلَيْهِ. ثُمَّ تَلِي هَيْمَنَةَ الْوَظِيفَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا الرِّسَالَةُ بِسِيَاقِهَا.

3- الْوُظَائِفُ الْإِتِّصَالِيَّةُ لِلْمَقْطَعِ الثَّالِثِ:

بَعْدَ وُصُولِ الطُّفْلِ "قَطَايَةِ الذَّهَبِ" وَأُخْتِهِ "قَطَايَةِ الْفَضَّةِ" إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ
فِي رِحْلَةٍ بَحْثٍ مُطَوَّلَةٍ عَنْ نَسَبِهِمَا، أَقَامَ الطُّفْلُ "الْمُرْسِلُ" عَمَلِيَّةَ إِنْصَالٍ مُبَاشِرَةٍ مَعَ
أُخْتِهِ "الْمُرْسِلِ إِلَيْهِ" مِنْ خِلَالِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَانَ سِيَاقُهَا يَدُورُ حَوْلَ مُشَارَكَتِهِ فِي
سِبَاقِ الْخَيَالَةِ لِلْسُّلْطَانِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي اسْتَقْبَلَ فِيهِ السُّلْطَانُ رِسَالَةً مِنْ خِلِ آلِ
هَذِهِ الْمُشَارَكَةِ وَالَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي تَذْكُرِهِ وَعَدَ الرُّوجَةِ الثَّالِثَةِ لِيَدْخُلَ عَلَيْهَا الْقَصْرَ
كَمُرْسِلٍ يَبْتُ رِسَالَةً كَانَ سِيَاقُهَا عَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، تَتَلَقَّى الرُّوجَةُ الرِّسَالَةَ وَتَذْكُرُ
سِيَاقُهَا. وَمَا يُهَيِّمُنُ فِي هَذِهِ الرِّسَائِلِ الْوَظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمَرْجِعِيَّةُ الَّتِي كَانَ لَهَا
التَّأْثِيرُ عَلَى الْمُتَلَقِّي "الرُّوجَةِ الثَّالِثَةِ" وَالسُّلْطَانِ الْمُتَفَعِّلِ الَّذِي يُعَاقِبُ الرُّوجَةَ الثَّالِثَةَ
لِعَدَمِ تَلْبِيَّتِهَا لِلْوَعْدِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْهَا. بَعْدَ تَعَرُّفِ الرُّوجَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَّةِ عَلَى
قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفَضَّةِ فِي سِبَاقِ الْخَيَالَةِ أَقَامَتَا عَمَلِيَّةَ إِنْصَالِيَّةٍ كَمُرْسِلٍ
بَيْنَهُمَا وَبَيَّنَ السُّتُوتُ كَمُرْسِلٍ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّا رِسَالَةً كَانَ سِيَاقُهَا التَّخَلُّصُ مِنْ جَدِيدٍ مِنَ
الطُّفْلِ "قَطَايَةِ الذَّهَبِ" وَالطُّفْلَةِ "قَطَايَةِ الْفَضَّةِ".

وَالْوَظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهَيِّمَةُ هِيَ الْوَظِيفَةُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ الْأَمْرَةُ مِنْ خِلَالِ أَمْرِ
السُّتُوتِ بِالْكَيدِ لِلطُّفْلَةِ وَالطُّفْلِ. بَعْدَهَا تُقَامُ عَمَلِيَّةُ إِنْصَالِيَّةٍ بَيْنَ السُّتُوتِ وَالطُّفْلِ
قَطَايَةِ الذَّهَبِ حَيْثُ تُرْسَلُ السُّتُوتُ كَمُرْسِلٍ رِسَالَةً إِلَى الطُّفْلِ الْمُرْسِلِ
إِلَيْهِ وَتُعْرِيه بِإِحْضَارِ خِرَازِنَةٍ بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ فَيَعْرِضُ الطُّفْلُ عَلَى إِحْضَارِهَا. فَيَنْصَحُ لَنَا
الْوَظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ التَّأْثِيرِيَّةُ الْمُهَيِّمَةُ نَتِيجَةَ هَذَا الْإِعْرَافِ وَالتَّأْثِيرِ الَّذِي مَارَسَتْهُ
السُّتُوتُ عَلَى الطُّفْلِ "قَطَايَةِ الذَّهَبِ"، فَيُقَامُ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ اتِّصَالٌ بَيْنَ الطُّفْلِ

وَالطُّفْلَةَ حَيْثُ طَلَبَ الطُّفْلُ مِنْ أُخْتِهِ تَحْضِيرَ مَا يَلْزَمُ لِهَذِهِ الرَّحْلَةِ، تَبْقَى الْهِيمَةُ لِلْوُضَيْفَةِ الْإِتِّصَالِيَّةِ الْمَرْجِعِيَّةِ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ .

4- الْوُضَائِفُ الْإِتِّصَالِيَّةُ لِلْمَقْطَعِ الرَّابِعِ:

فِي طَرِيقِهِ لِجَلْبِ الْخِزَانَةِ بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ يَعْترِضُ طَرِيقَهُ الشَّيْخُ الَّذِي يُقِيمُ مَعَهُ عَمَلِيَّةَ اتِّصَالِيَّةٍ كَمُرْسِلٍ مِنْ خِلَالِ رِسَالَةٍ يَبْنِيهَا عَلَى مَسَامِعِ الشَّيْخِ وَكَانَ سِيَاقُهَا السُّؤَالُ عَنِ الْبِلَادِ الَّتِي يَجِدُ بِهَا مَطْلُوبَهُ، تَتَضَحُّ الْقَنَاءُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الَّتِي تُمَثِّلُهَا الْوُضَيْفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُحَافِظَةُ عَلَى الْإِتِّصَالِ مِنْ خِلَالِ عِبَارَةِ "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ" وَرَدُّ الشَّيْخِ بِعِبَارَةِ "لَوْلَا سَلَامُكَ لَسَمِعْتُ طَقْطِيقَ عِظَامِكَ فِي رَاسِ الْجِبَالِ" وَالْوُضَيْفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ هِيَ الْوُضَيْفَةُ الْمُحَافِظَةُ الَّتِي جَسَدَتْهَا قَنَاءُ الْإِتِّصَالِ الَّتِي حَافَظَتْ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّتِهِ.

يَذْهَبُ الطُّفْلُ "قَطَايَةَ الذَّهَبِ" إِلَى بِلَادِ الْغُولِ لِيُحْضِرَ خِزَانَةً بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ وَيَطْلُبُ مِنْ أُخْتِهِ فِي رِسَالَةٍ إِيقَاضَهُ لِلْمُشَارَكَةِ فِي سِيَاقِ الْخِيَالَةِ وَبَعْدَ مُشَارَكَتِهِ تَبْتُ هَذِهِ الْمُشَارَكَةُ رِسَالَةً غَيْرَ لَفْظِيَّةٍ فَتَعْلَمُ بِوُصُولِهِ مِنْ بِلَادِ الْغُولِ حَيًّا. تَبْدُو الْوُضَيْفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمُهِمَّةُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ هِيَ الْوُضَيْفَةُ الْجَمَالِيَّةُ الَّتِي تُمَثِّلُهَا الرَّسَالَةُ "وَصُولُ قَطَايَةِ الذَّهَبِ حَيًّا" الَّتِي لَفَتَتْ إِنْتِبَاهَ الْمُرْسِلِ إِلَيْهِ "السُّتُوتُ" .

تَقَامُ عَمَلِيَّةُ اتِّصَالِيَّةٍ أُخْرَى بَيْنَ "السُّتُوتِ" الْمُرْسِلِ وَالطُّفْلِ الْمُرْسِلِ إِلَيْهِ، وَتَسْنِينِ رِسَالَةٍ سِيَاقُهَا الْبَحْثُ عَنْ "تَاجِ الْبَهَاءِ" الْجَنِّيَّةِ وَالزَّوْاجِ مِنْهَا. وَالْعِبَارَاتُ الَّتِي أَقَامَتْ هَذَا الْإِتِّصَالَ "دَارَكَ مَلِيحَةَ تَخْصُصِهَا مَرَى" وَهِيَ بِدَوْرِهَا تُبَيِّنُ لَنَا هَيْمَةَ الْوُضَيْفَةِ الْحَافِظَةِ لِلْإِتِّصَالِ بَيْنَ السُّتُوتِ وَالطُّفْلِ "قَطَايَةَ الذَّهَبِ"، ثُمَّ تَلِي الْوُضَيْفَةُ الْمَرْجِعِيَّةُ فَالْوُضَيْفَةُ النَّائِبِيَّةُ الَّتِي تُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِيَّةِ وَذَهْنِيَّةِ الطُّفْلِ فَيَعْرِضُ عَلَى إِخْضَارِ هَذِهِ الْجَنِّيَّةِ مِنْ بِلَادِ الْغُولِ، يَذْهَبُ الطُّفْلُ دُونَ رَجْعَةٍ بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَ مِنْ طَرَفِ الْعُودَةِ إِلَى حَجَرٍ، تَقْلُقُ عَلَيْهِ أُخْتُهُ فَتَقِيمُ اتِّصَالًا مَعَ الشَّيْخِ عَبْرَ قَنَاءِ اتِّصَالِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ فِي "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ" وَرَدُّ الشَّيْخِ بِعِبَارَةِ "لَوْلَا سَلَامُكَ لَسَمِعْتُ طَقْطِيقَ عِظَامِكَ فِي رَاسِ الْأَجْبَالِ" تَبْتُ رِسَالَةً إِلَى الْمُرْسِلِ إِلَيْهِ "الشَّيْخِ"، يَتَلَقَّى الرَّسَالَةَ الَّتِي كَانَ سِيَاقُهَا السُّؤَالُ عَنِ الطُّفْلِ "قَطَايَةَ الذَّهَبِ" .

الْوِظِيفَةُ الْمُهِمَّةُ لِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ هِيَ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ الَّتِي نَجَسَدُهَا لَنَا حَالَةُ الْأُخْتِ الْقَلِقَةِ عَلَى غِيَابِ أُخِيهَا. ثُمَّ يَلِيهَا الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الَّتِي خَصَّتْ الشَّيْخَ الْمُتَلَقِّيَ فَيُرْشِدُهَا لِلطَّرِيقِ الْمُوْدِيِّ إِلَى أُخِيهَا وَيُحَدِّثُهَا مِنْ الْغَوْلَةِ الَّتِي تُحَوِّلُ الْبَشَرَ إِلَى حَجَرٍ. تَصِلُ الطُّفْلَةُ "قَطَايَةِ الْفِضَّةِ" إِلَى بِلَادِ الْغَوْلَةِ وَتُقِيمُ اتِّصَالًا مُبَاشِرًا مَعَ الْغَوْلَةِ كَمُرْسِلٍ إِلَيْهِ، وَتَبْنِيهَا رِسَالَةً عَبْرَ الْقَنَاةِ الْإِتِّصَالِيَّةِ الَّتِي أَدَّتْ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْحَافِظَةُ الْمُتَمَثِّلَةُ فِي عِبَارَةِ "بِحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُحَوِّلُنِي حَجَرًا". فَكَانَتْ لِهَذِهِ الْوِظِيفَةُ الْهُيْمَةُ فِي إِقَامَةِ هَذَا الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الطِّفْلِ وَالْغَوْلَةِ ثُمَّ تُهَيِّمُ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ التَّائِيْرِيَّةُ بَعْدَ فَكِّ الْغَوْلَةِ لِشِفْرَةِ الرِّسَالَةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا السِّيَاقُ: خَلَاصُ الطِّفْلِ وَتَحْوِيلُهُ مِنْ حَجَرٍ إِلَى بَشَرٍ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ. وَبَعْدَ خَلَاصِ الطِّفْلِ وَتَحْوِيلِهِ مِنْ حَجَرٍ إِلَى بَشَرٍ أَقَامَ اتِّصَالًا مَعَ الْغَوْلَةِ كَمُرْسِلٍ يَبْنِيهَا رِسَالَةً كَانَ سِيَاقُهَا السُّؤَالُ عَنْ مَكَانِ تَاجِ الْبَهَاءِ، فَهَيِّمَتِ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ التَّائِيْرِيَّةُ مِنْ خِلَالِ إِرْشَادِ الْغَوْلَةِ الطِّفْلَ وَقَبُولِهِ الرِّوَاجَ مِنْ تَاجِ الْبَهَاءِ. بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى مَكَانِ تَاجِ الْبَهَاءِ أَقَامَ الطِّفْلُ اتِّصَالًا مَعَهَا كَمُرْسِلٍ وَمُرْسِلٍ إِلَيْهِ وَبَنَى رِسَالَتَهُ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي طَلَبِ الرِّوَاجِ مِنْهَا بَعْدَ مُوَافَقَةِ عَمَّتِهَا الْغَوْلَةِ. وَافَقَتْ تَاجَ الْبَهَاءِ عَلَى هَذَا الْعَرْضِ وَأَقَامَتْ بِدَوْرَهَا اتِّصَالًا كَمُرْسِلٍ يَبْنِي رِسَالَةً إِلَى الطِّفْلِ تُخْبِرُهُ فِيهَا بِقَبُولِهَا مَعَ اصْطِحَابِهَا كُلًّا مِنَ الْغَوْلَةِ عَمَّتِهَا وَالْأَسَدِ وَاللَّبْوَةِ مَعَهَا إِلَى قَصْرِ رَوْجِهَا. يَسْتَمِرُّ الْإِتِّصَالُ بَيْنَ الطِّفْلِ وَتَاجِ الْبَهَاءِ مَرَّةً مُرْسَلًا وَمَرَّةً مُرْسَلًا إِلَيْهِ وَتُهَيِّمُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ الْوِظِيفَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمَرْجِعِيَّةُ ثُمَّ الْإِنْفَعَالِيَّةُ فَالتَّائِيْرِيَّةُ .

5- الْوِظَائِفُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الْمَقْطَعُ الْخَامِسُ (الْخِتَامِي):

بَعْدَ وَصُولِ قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَقَطَايَةِ الْفِضَّةِ وَتَاجِ الْبَهَاءِ وَمُسَاعَدِهَا إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ الَّذِي رَحَّبَ بِهِمْ وَأَعْجَبَ بِتَاجِ الْبَهَاءِ، فَأَقَامَ اتِّصَالًا مَعَهَا كَمُرْسِلٍ يَبْنِيهَا رِسَالَةً كَانَ سِيَاقُهَا طَلَبُ الرِّوَاجِ مِنْهَا، تَقُومُ تَاجُ الْبَهَاءِ بِفَكِّ شِفْرَةِ الرِّسَالَةِ وَتَرُدُّ عَلَيْهِ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى أَنَّهَا رَوْجَةُ ابْنِ قَطَايَةِ الذَّهَبِ وَتُعَلِّمُهُ بِتَدْبِيرِ الضَّرَائِرِ لِلرَّوَجَةِ الثَّالِثَةِ. فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصِلِيَّةِ تُهَيِّمُ الْوِظِيفَةُ التَّوَاصِلِيَّةُ الْمَرْجِعِيَّةُ وَهَذَا مَا يُلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ فِي هَيْمَتِ

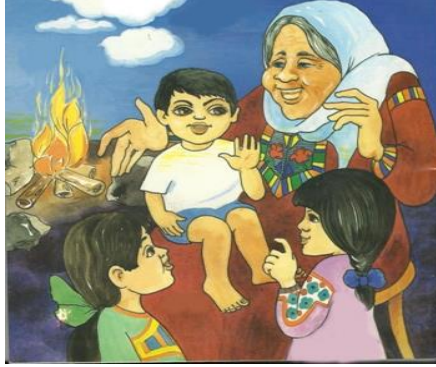
الوظائف الاتصالية الستة لكل عملية اتصالية حسب "رومان جاكسون". يُدرك السلطان كل ما يدور حوله من كيد وتدبير فتحكم تاج البهاء في هذا الأمر فتأمر الغولة والأسد واللوبة في رسالة مُحددة ولغة يفهمها عالم الغول والجن فتتضح لنا هيمنة الوظيفة الاتصالية الانفعالية للمرسل "تاج البهاء" والتي تجسدها الحالة النفسية الانفعالية من خلال رغبة الغولة في الانتقام من الجناة وتحرير الزوجة الثالثة "أم قطاية الذهب وقطاية الفضة".

خاتمة:

- بعد سماعنا لهذه الحكاية وتحليلها تبين لنا ما يلي:
- أن الحكاية الشعبية منظومة متكاملة للنقاهم والتداول والتواصل بين البشر.
 - أهميتها التواصل غير اللغوي كالحركات والإيماءات وتبرة الصوت واللباس والهيئة ...
 - شمولية الحكاية للوظائف الاتصالية الستة .
 - هيمنة الوظيفة الاتصالية المرجعية للعملية التواصلية .
 - أهمية القناة الاتصالية في الحفاظ على استمرارية التواصل كعبارات الترحيب والمقدمة الاستهلالية ...
 - القدرة التبليغية للحكاية الشعبية باعتبارها رسالة يبثها الراوي كمرسل للمتلقي المروي له.
 - القيمة الاتصالية للشخص داخل المن الحكائي الشعبي.
 - أقول بعض الوظائف الاتصالية إلى جانب هيمنة الوظائف المرجعية والوظيفة الحافظة التي تمثلها قناة الاتصال "الحوار المباشر".
 - دور الوظائف الاتصالية المؤثر والرئيسي في العملية الاتصالية والحكاية الشعبية.



القطاية



الجدّة تحكي

الإحالات :

*قطاية: طائرٌ جميلٌ بحجم الحجل

** الربوعي: مكيالٌ يساوي أربعة لترات.

*** النصافي: مكيالٌ يساوي مرتان حجم الربوعي.

**** الجوابي: مكانٌ مستنقعٌ يُجمع فيه الماء.

الهوامش:

- 1- ابنُ مَنْظُور، لسانُ العرب، مَادَّة: وَظَفَ، م 9 دَار صَادِر، بَيْرُوتُ ص358
- 2- الْجَوْهَرِي، الصَّحَاح، ت: أَحْمَدُ عَبْدِ الْغَفُورِ عَطَّار، ج4 دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِين، بَيْرُوتُ ص1439
- 3- أَحْمَدُ الْمُتَوَكَّل، التَّرَكِيبَاتُ الْوُضُفِيَّةُ، قَضَايَا وَمُقَارِبَات، مطبعة الكرامة، الرِّبَاط، ط1، 2005، ص 21.
- 4- أَحْمَدُ الْمُتَوَكَّل، المرجع نفسه ص 23
- 5- ابنُ مَنْظُور، المرجع السَّابِق، مَادَّة: وَصَلَ، م11، ص 726.
- 6- الْجَوْهَرِي، المرجع السَّابِق، مَضَادَّة: وَصَلَ، ج4، ص 1842.
- 7- مَثَالُ طُلَعَتْ مُحَمَّد، مدخل إلى علم الإتِّصَال، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، جامعة الإسكندرية، 2001-2002، ص 18.
- 8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 10- م.م. فلاح جابر الغرابي، وسائل الإتِّصَال الحديثة ودورها في إحداث التَّغْيِير الاجتماعي، مجلَّة القادسيَّة في الأدب والعلوم التَّربويَّة، م8، العدد 2، 2009، ص207.
- 11- الْجَوْهَرِي، المرجع السَّابِق، ج2، ص2317.
- 12- ابنُ مَنْظُور، المرجع السَّابِق، م14، ص 191.
- 13- المرجع نفسه، م1، ص 497-500.
- 14- الجوهري، المرجع السابق، ج3، ص155.
- 15- مُحَمَّدُ عِيلَان، محاضرات في الأدب الشَّعبي، دارُ العلوم للنَّشر والتَّوزيع، 2013، ص 80.
- 16- أَحْمَدُ زَغَب، الأدب الشَّعبي التَّربُّس والتَّطْبِيق، مطبعة صخري، ط2، ص11.
- 17- المرجع نفسه ص11.
- 18- محمد عابر الجابري، التَّوَاصُلُ نَظَرِيَّاتٌ وَتَطْبِيقَاتٌ، ك1، الشبكة العربية للأبحاث والنَّشر، ط1، 2010، بيروت، ص 225 .

19- عبد الحميد بوراوي، القَصَص الشعبي في منطقة بسكرة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 ص 35.

20- منال طلعت مَحْمُود، المرجع السَّابق، ص 36.

21- المرجع نفسه، ص 37.

22- المرجع نفسه، ص 38.

23- المرجع نفسه، ص 34.

24- عبد الحميد بوراوي، المرجع السابق، ص 48.

25- المرجع نفسه، ص 33.

26 -[http://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=27&page=](http://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=27&page=showarticle&id=501)

ص 2. 501. showarticle&id=501.

27- المرجع نفسه، ص 2.

28- المرجع نفسه، ص 3.

29- عبد الحميد بوراوي، المرجع السابق، ص 35.